الفصل الأول

قضايا أساسية Basic Issues

١ ـ أنظمة ونماذج

SYSTEMS AND MODELS

١ ـ يبدو أن دور لسانيات النص الذى تتزايد أهميته باطراد فى دراسة اللغة فى كثير من البلدان يشير الى تحوّل فى الفكر paradigm shift على حد تعبير توماس كوهين(١٩٧٠). فالانشغال السابق بالجمل التوضيحية المنعزلة عن مواقف النصوص الاتصالية يتحول إلى اهتمام جديد بحدوث التجليات الطبيعية للغة: أى بالنص TEXT. إذ ربما اشتملت وقائع استعمال اللغة على تركيب سطحى من كلمات منردة، أو جمل مفردة، ولكنها تقع فى نصوص، أى فى أشكال من اللغة ذات معان قصد بها الاتصال To communicate. ودلالات هذا التحول فى مجال البحث بالغة الأثر حقا. فنحن لا نتحول عن استكشاف الأقصر إلى استكشاف الأطول من نماذج اللغة فحسب وإنما نجعل الاهتمام أيضا يتجه الى إجراءات الاستعمال UTILIZATION PROCESSES للغة الاتصال بدلا من التركيز على الصيغ المجردة فى الذهن (قارن: هورمان ١٩٧٦؛ وهـ. كلارك و إ. كلارك ١٩٧٧).

١ ـ ٢ ـ إن الحدود التقليدية الضيقة للسانيات تتلاشى أمام التفاعل القوى بينها وبين العلوم ذات الصلة بها، وهى علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلى والسيميوطيقا والسبرنطيقا والتربية والدراسات الأدبية. وينبغى للسانيات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هى حقل للبحث (كما تنبأ إينجفى ١٩٦٩) أن تصبح علما محوريا للخطاب والاتصال كما تنبأ كثير من الباحثين اللامعين (منهم مثلا: ليفى شتراوس ١٩٥٨، ودنديس ١٩٦٢، وهيمز ١٩٦٢: ٩، وبياجيه ١٩٦٦: ٢٥، وهارتمان ١٩٧٠: ٥٣، وماكلاى ١٩٧١: ١٨٠ والتى بعدها، وياكوبسون ١٩٧٣، وكوخ ١٩٧٣/ ١٩٧٤:

١١) إن فائدة النظريات والمناهج العامة لنظريات اللسانيات وكذلك صلاحيتها للتطبيق ستكون عندئذ غاية مهمة لا كما كان ذلك فى الماضى نتاجا جاءت به المصادفة أو جاء به سوء التفاهم.

١ ـ ٣ ـ وفى هذا الإطار تصبح لسانيات النص مجالا لفظيا من مجالات السيميوطيقا يتناول كل المدى الممتد ما بين النصوص ذات الكلمة المفردة (مثلا: الصياح بلفظ «حريق»![1] إلى نصوص لها من الطول ما للكوميديا الإلهية The Divine comedy. والصفة المميزة للنص هى وقوعه فى الاتصال -OCCUR RENCE IN COMMUNICATION (هارتمان ١٩٦٤) حيث ينتجه طرف واحد فى بعض الحدود الزمانية (قارن: فاينريش ١٩٧٦ : ١٨٧). ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطابا DISCOURSE[2] أى توالیا للوقائع الاستعمالية occurrences يمكن العودة إليه فى وقت لاحق (قارن فانديك a ١٩٧٧). أما جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة فى جماعة أو مجتمع فإنها يمكن أن تسمى عالم خطاب UNIVERSE OF DISCOURSE (قارن: coseriu 1955 - 56; pike 1967:596; van dijke 1977 a: 127)

١ ـ ٤ ـ إن اللغة الإنسانية على درجة من التركيب فى نظامها والاختلاف فى تجلياتها تجعل علم اللسانيات دائم التطور. فاللغوى يواجه وفرة عظيمة من مادة البحث تمتد بين مايدرك بالملاحظة من التخاطب المباشر وبين العويص من التأملات الرياضية والفلسفية فى اللغة. ولقد اضطرت اللسانيات فى مراحلها الأولى إلي أن تكون انتقائية Selective واختزالية reductive فى نظرتها إلى حد بعيد (Unlenbeck 1973: 107; Grimes 1975: 3) . وكان من أثر التقدم

(١) فى هذا الكتاب جميعه أضع الأمثلة اللغوية المذكورة فى مجرى النص بين أقواس اقتباس مفردة، ولا ترد علامات الترقيم الا أن تكون جزءا من المثال.

(٢) استعمل مصطلح «تحليل الخطاب» استعمالات مختلفة ليدل على لسانيات ما و ء الجملة بصفة عامة (هاريس ١٩٥٢) وعلى دراسة المحادثة بصفة خاصة (كولتهارد ١٩٧٧) أما فى خطتى فإن هذين المجالين ليسا أكثر من جزء من علم النصوص التى هى أحداث اتصالية فعلية

المستمر أن يصبح قسط كبير من هذه النظرة غير ضرورى، وإن كان النقاش حول القضايا المسلم بها مازال مستمرا. ونحن الآن نقترب من زمن يمكن فيه للسانيات أن تستطيع باتساع آفاقنا أن تفى بالمطالب التى يفرضها عليها المجتمع (قارن: هارثمان ١٩٧٠).

١ ـ ٥ ـ ومهما كثرت المادة التى يجمعها الباحث ويقوّمها فإنها لايمكن أن تكون ذات دلالة إلا من حيث صلتها بالهموم المعرفية COGNETIVE INTER-ESTS (قارن: كوهين ١٩٧٠؛ وشميدت ١٩٧٥): أى الالتزام بالبحث عن أنواع معينة من المعرفة. وليس من الواضح بذاته وبخاصة فى اللسانيات أى الأشياء يمكن أن يعد مادة صالحة للبحث، أو كيف ينبغى لهذه المادة أن تعالج. إن الهموم المعرفية التى ذكرت فى هذا المجلد خصصت للنصوص من حيث هى وسيلة لحمل الأنشطة الإنسانية HUMAN ACTIVITIES. وتلك فكرة دارت بأذهان الكثيرين من مؤسسى علم اللسانيات (ومنهم مثلا: مالينوفسكى ١٩٢٣، ويسبرسن ١٩٢٤ وبوهلر ١٩٣٤).

١ ـ ٦ ويمكننا باستعمال مصطلح «تنظيم» الذى أشاعه كارل كامبل (واقتبسه ستيجمولر ١٩٦٩: ٢٠٥ أن نحدد التناول العلمى لمادة البحث بأنه تنظيم SYS-TEMATIZATION أى فرض نظام ما على المادة التى نحصل عليها. ويعدّ النظام SYSTEM وحدة قوامها العناصر ELEMEINTS[٣] ذات العلاقة المشتركة التى تتحدد وظائفها FUNCTIONS بواسطة مساهماتها الخاصة فى أداء المجموع لوظيفته. ولتفسير مادة البحث يبنى الباحثون نموذجا تنظيميا SYS-TEMIC MODEL قد تستعاد هذه المادة بواسطة تطبيقه (انظر فكرة النموذج لدى هارتمان ١٩٦٥؛ وجوليش وربيل ١٩٧٧) ـ إن الترابط بين النموذج وأى مجال علمى إنما يجرى تنظيمه بواسطة مبادىء عبور BRIDGE PRINCIPLES (هيمبل ١٩٦٦) تعبر عن درجة التقارب APPROXIMATION بين النموذج والمجال العملى المذكور (قارن: أبوستيل ١٩٦١) ويختزل التقدم العلمى على

(٣) إن المصطلح element يستعمل للدلالة على أي عنصر يتوقف وروده أو استعماله على قواعد نظامية (أى متمية إلى نظام).

المستوى المثالى دائما درجة التقارب المذكور لـيجعل النموذج أكثر ضبطا. وعلى أى حال قد تكون مـادة الدراسة ذاتها متّسمة بالـضّبابية ,FUZZY أى متسمة بتراكيـب وأداءات احتمالية غيـر معينة بخـصوصها. وتلك هى حـالة الاتصال بواسطة اللغة الطبيعية.

١ ـ ٧ ـ ولقد استقر عنـد اللغويين أن ينظروا الى اللغة مـن حيث هى نظام (انـظر: سـوسيـر ١٩١٦؛ وفايـنـريش ١٩٥٤؛ وفـيرث ١٩٥٧؛ وهـاليـدى ١٩٦٧a؛ وهـيجـر ١٩٧١؛ ولابـوف ١٩٧١؛ وفيـنـوجـراد ١٩٧٢؛ وبيـرى ١٩٧٧؛ وكلارك وكلارك ١٩٧٧، وفانـدايك ١٩٧٧a).

ويتضمن الـنظر الى اللغة من حيـث هى نظام اهتمامات معـرفية تدور حول حركية كائن ما DINAMICS OF AN ENTITY (هارتمان ١٩٦٣a-١٩٦٣b) وهذه الاهتمامات حركية مثل الضبط CONTROL والتفاعل INTERACTION بين الـعناصر. وإن نـظرية الأنـظمة التـى أصبحت عـلما قـائما بذاتـه (قارن: بولديـنج ١٩٥٦؛ وبرتلانـفى ١٩٦٢، وبكلـى ١٩٦٨) قد صادفت قـبولا فى مجالات مـختلفـة للبحـث مثل علـم النفس وعـلم الاجتمـاع وعلم السـلوك وهندسة الـتصميمات وعـلم المعلومات وعلـم الحاسب الآلى وتحليـل العوامل Factor analysis وديناميكات الحرارة thermodynamics والطبولوجيا الرياضية وعلوم أخرى كثيرة. إن شـيوع تناول المادة من وجهة نظر النظـام يثرى الناحية الاستكشافية heuristically من حيـث إنه يعين على المـشاركة فى النـماذج بين العلوم وعلى استعارة النماذج من علم الى علم. وللنماذج المستعارة بالطبع آثار حاسمة فى طرق البحث ومن هنا ينبغى أن تستعمل بحذر.

١ ـ ٨ إن اللغة فى أولى صورها حـالة من حالات التجلّى MANIFESTA-TION بمعنى أنـها واقعة أو مجمـوعة من الوقائع الـتى تعرف بواسطـة الوعى الاستبطانى apperception (قارن: ستيجمولر ١٩٦٩: ٩٣) فالنواحى التى تقع تحت الملاحظـة تتفاعل مع التـى لا تقع تحتها بطـرق متداخلة متنـوعة وهكذا ينبـغى للصورة الكـلية للغـة أن تستكمـل بالتدريج بواسـطة نسق من المـهمات التنظيمية ـ فمثلا:

١ ـ ٨ ـ ١ ـ التعرف IDENTIFYING على شاهد لغوى ما وعلى مكوناته أو على محيطه.

١ ـ ٨ ـ ٢ التعميم GENERALIZING فيما يتصل بالشواهد ذات العلاقة المشتركة.

١ ـ ٢ ـ ٣ وصف DESCRIBING مجموعة من الشواهد وصفا منهجيا.

١ ـ ٨ ـ ٤ تفسير EXPLANING وجود الشواهد أو وقوعها.

١ ـ ٨ ـ ٥ توقع PREDICTING الأمثلة تحت شروط ثابتة.

١ ـ ٨ ـ ٦ إعادة بناء RECONSTRUCTING أقيسة مصطنعة على تلك الشواهد.

١ ـ ٨ ـ ٧ ضبط MANAGING تكوين الأمثلة المقيسة.

١ ـ ٩ ـ هذه المجموعة من المهمات مرتبة فيما أرى بحسب تزايد الصعوبة. ويقتضى إتمام أى مهمة منها أن يسبقه إتمام ما قبلها. وينبغى لنا فى التطبيق على كل حال أن نعمل فى الغالب وعلى سبيل الاحتياط بدون هذه الشروط المسبقة. فالتربية العامة مثلا ربما تطلبت توجيه اللغة بدون أى بيان توضيحى أو تنبؤى.

١ ـ ١٠ ـ وحين اتجهت اللسانيات إلى أن تصبح علما مضبوطا discipline عمدت إلى الابتعاد بنفسها عن الطموحات الترويضية التى فى النحو التقليدى. ولقد سعت إلى إيجاد بعض الوسائل الموضوعية النافعة عند القيام بمهمات أساسية كالتعرف والتعميم والوصف. ثم وصلت فى هذه المرحلة المتقدمة التى تسمى «اللسانيات الوصفية» إلى منهج مضبوط إلى درجة تكفى للكشف عن النظم النحوية لعدد كبير من اللغات التى لم يتم تسجيلها من قبل وقد كان ذلك حتى مع عدم المعرفة السابقة بتركيبها (وبخاصة من خلال فكرة التجميميات tagmemics التى طورها كينيث بايك ١٩٦٧ وروبرت لونجثيكر ١٩٦٤). ووقع التركيز لأسباب مفهومة على جوانب من اللغة يسهل الوصول إليها بالملاحظة:

كالأصوات والصيغ وترتيب عناصر النطق. أما تناول النواحى التى لاتصل إليها الملاحظة كمرتكزات Strategies الاتصال أو العمليات النفسية[٤] فقد كان حدسيا غير شكلانى. ولم يكن الاتصال من حيث هو نشاط إنسانى يعد موضوعا رئيسيا للدراسة قائما بذاته.

١ ـ ١١ أما التناول «التوليدى» لدراسة اللغة فقد وقع على المهمات الأكثر صعوبة، وهى: التفسير، والتوقع، وإعادة البناء (بدءاً من هيلمسف ١٩٤٣؛ قارن: تشومسكى ١٩٥٧). وقد استعار التوليديون الكثير من المنطق الصورى لبناء نموذج تجريدى للغة الإنسانية مع قيود شديدة على موضوع الدراسة. وكان الاختلاف بين نموذجهم والمادة الحقيقية للبحث فى بعض النواحى قويا إلى درجة كافية لإيجاد قطيعة بين الدراسات الموجهة بواسطة هذا النموذج والدراسات الموجهة بواسطة مادة البحث (ليفرنيك ١٩٧٣). إن توسيع مجال اللسانيات بحيث يشمل العناية بمهمات جديدة سيظل على كل حال مساهمة باقية على الزمن مما تقدم به النحو التوليدى (قارن: دينجوول ١٩٧١).

١ ـ ١٢ ـ فإذا كانت النماذج واسطة بين ما نستطيع إدراكه ومانريد تفسيره (شعار ينسبه جوليش ورايبل ١٩٧٧ : ١٤ الى أنكساجوراس.
قارن: فاجنر ١٩٧٤ : ١٥٠) فإن المواقف التالية قد تبرر الاعتماد على النماذج (مأخوذ بتصرف من أبوستيل ١٩٦١):

١ ـ ١٢ ـ ١ حين لا توجد أية نظرية معروفة للمجال المدروس.

١ ـ ١٢ ـ ٢ أو تكون هناك نظرية معروفة ولكنها على درجة من التركيب لا تسمح بحل المشكلات بواسطة الطرق المستعملة فى الوقت الحاضر.

١ ـ ١٢ ـ ٣ أو تكون ثمة نظرية معروفة ومؤكدة إلى حد ما ولكنها غير مكتملة.

---

(٤) علق بيتر هارتمان فى (اتصال شخصى) بأن فكرة الملاحظة فى هذه المناقشات المتقدمة كانت إلى حد ما فى غير موضعها. فتطبيق طرق الإجراءات الاتصالية يضمن القوة للدراسة الموضوعية سواء نظرنا أم لم ننظر إلى مادة البحث فى صورتها البالغة التفصيل.

١ ـ ١٢ ـ ٤ أو حين يسمح البحث الحديث بترابط نظريتين معروفتين أو أكثر أو امتزاجهما.

١ ـ ١٢ ـ ٥ أو حين تكون موضوعات البحث أكبر أو أصغر أو أبعد أو أصعب من أن تسمح بملاحظة مباشرة أو بإجراء تجارب.

١ ـ ١٣ ـ وتوجد هذه المواقف التالية جميعا إلى حد ما فى اللسانيات:

١ ـ ١٣ ـ ١ ماتزال بعض النواحى غير خاضعة لنظرية صالحة كما فى المنطقة المشتركة بين اللغة والحالات الانفعالية لطرفى الاتصال.

١ ـ ١٣ ـ ٢ وهناك بعض النظريات فى متناول أيدينا كنظرية مونتاجيو Mon-tague النحوية (١٩٧٤) ولكنها على درجة من التفصيل والتداخل تمنع الانتفاع بها فى المشكلات العملية للغة بالطرق المنهجية السائدة على الأقل.

١ ـ ١٣ ـ ٣ ـ ويظل التناول «التوليدى» للغة غير مكتمل حتى يمكن له أن يوضح كيفية إنتاج النصوص وفهمها لدى بنى الإنسان.

١ ـ ١٣ ٤ ـ ويتطلب البحث فى النصوص توحيد النظريات بالنسبة لمجالات متعددة مثل نحو الجملة والفلسفة والإحصاء والإدراك Cognition والتخطيط والعمل.

١ ـ ١٣ ـ ٥ ـ كما أن بعض النواحى فى حقل دراسة اللغة من الضخامة (كمجموع الاتصال فى مجتمع ما)، أو من الضآلة (كالنبضات الصغرى لخلايا الأعصاب عند صياغة الأداء اللغوى)، أو من البعد (كاختزان المعلومات فى الذهن)، أو من الصعوبة (كنسبة كل من المكونات الصغرى فى النطق إلى تطورها الاجتماعى أو النفسى أو التاريخى) بحيث لا يمكن تتبعها بالتجربة المباشرة.

١ ـ ١٤ ـ وللفصل بين ما اطرد من اللغة وبين تفاصيلها العرضية يمكن للمرء أن يميز النواحى النظامية SYSTEMIC منها وهى المسماة langue أو

Competence والنواحى التى تبدو عرضية أو منفكة irrelevant وهى التى تسمى Parole أو performance. إن الخط الفاصل بين هاتين الطائفتين يتحرك عندما نكتشف أن المجالات التى كنا ذات يوم نظنها عرضية تبدو آخر الأمر ذات طبيعة نظامية. فالجملة مثلا كانت لدى سوسير تنسب الى الكلام parole (١٩١٦: ١٧٢) ثم أصبحت أمراً مبدئيا للمقدرة Competence فى النحو التحويلى من كتاب تشومسكى (١٩٥٧). ولسوف أناقش (فى الفصل الأول ـ ٥) اشتمال المقدرة النصية TEXTUAL-COMPETENCE على مجالات ذات اختلاف واضح عما تشتمل عليه المقدرة الجملية SENTENCE - COMPE-TENCE (قارن أيضا: الفصل الرابع ـ ١ ـ ٢٤).

١ ـ ١٥ ـ إن الحدود الخاصة لمفهوم langue أو competence تؤثر وتتأثر بالنماذج والمناهج المستعملة. ولقد فتّت الوصفيون أجزاء نماذجهم باصطناع مستويات LEVELS ووحدات صغرى MINIMAL Units يفرعونها من خلال التصنيف TAXONOMY أى بخطة لتوزيع العناصر بواسطة السمات المميزة distinctive features. وإذا كان كل مستوى من مستويات الوحدات الصغرى يعد نظاما من التقابلات المتبادلة mutual Oppositions فإنه ينبغى لحصيلة كل نظام أن تجمع بأكملها، ومن ذلك مثلا: الصوتيات (phonology) والصرف (morphology) أما العلاج الشامل للمعانى والمواقف فقد رؤى مستحيلا فنحيت هذه المجالات جانبا. ولقد فضل التوليديون فيما بعد أن يبدأوا من الطرف الآخر بالقواعد (GRAMMAR) من حيث هى مجموعة من الضوابط التى تحدد ما ينتمى ومالا ينتمى إلى اللغة. وتأجل النظر فى مسألة الشمول بافتراض أن كل المكونات المركبة (مهما كثرت) يمكن استخراجها من مجموعة محدودة من المكونات البسيطة (kernels) باستعمال الضوابط المناسبة. ولقد وضعت هذه الضوابط بحيث تنتج مجموعات لا نهائية infinite من الجمل.

١ ـ ١٦- إن التناول التوليدى أكبر فى طموحه كثيرا من التناول الوصفى، لأنه لا يقنع بالاقتصار على تنظيم جميع أشكال الوقائع occurrences اللغوية، وإنما ينزع أيضا إلى أن ينتج أشكالا لما لا يقع منها non - occurrences (ماكولى

١٩٧٦). فإذا أردنا التحديد قلنا إنه ليس نحوًا لأشكال الوقائع بأى حال لكونه يعترف بـاقتصاره على تنـاول الإمكانات التجريديـة. أما الاستكشاف التـجريبى لصدق Verification هذا النـحو فيمـكن أن يكون صـعوبة كبـرى. إن الناس ليجدون مشقة فى الحكم على ما تجيـزه لغاتهم المحلية من الوقائع خارج المدى المحدود نـسبيـا من الحالات الـواضحة التـى لا خلاف علـيها (قـارن: لابوف ١٩٦٦؛ ولاكـوف ١٩٦٩؛ وكـــارون ١٩٧٠؛ وهـيـرنجـر ١٩٧٠؛ وويـدج وانجمان ١٩٧٠؛ ورينـجن ١٩٧٥). ويـفترض فـى الحكم بالصواب الـنحوى grammaticakalness أن ينـطبق عـلى التـركيب فـحسب دون نـظر الى سـياق الموقف Context. ولكن التراكيب بالطبع لا ترد دون مواقف، ومن ثم لايكون لمستعملى اللـغة الخبرة المطلوبة لإصدار أحكام ثابتة. ويـحاول مساعدو البحث informants فى الحقيـقة أن يتصوروا المواقـف الممكنة لكـل مثال (أوهيلينبك ١٩٧٣: ٤٢؛ ومـاكولـى ١٩٧٦: ١٥٥؛ وفـانديـك ١٩٧٧ C؛ وسنومايجر ١٩٧٧). ويسهل عليهم الحكم بموافقـة القاعدة على الجمل المتبذلة banal التى يتصور وقـوعها occurence من كـل فرد (هـاوسهـولدر ١٩٦٠: ٣٤٠)، أمـا بالنسـبة للحالات الأقل ابـتذالا فإن آراءهم غير مـستقرة ولا ثابتـة. ولقد وجد هيرنجر (١٩٧٠) أن إيـجاد موقف context لمثل هذه الجـمل البسيطة الـتالية: "John Left Until 6p.m.". قد كـشف عن تغـير فى أحكـام الناس بموافـقة القاعدة بما لا يقل عن ٤٠٪! فما يزال الناس أقل اسـتطاعة للجزم بالحكم فيما يتصـل بالجمل الطويـلة كتلك التـى يعارض بها روبنـسون (١٩٧٥: ١٤١ وما بعدها) تشومسكى (١٩٧٢).

١ ـ ١٧ ويمكن للقصور فى إجراءات الاختبار العملى لصدق أجزاء كبيرة من نظرية لغة ما أن يؤدى إلى أمور مقلقة (قارن: بوجراند ١٩٧٩ - K):

١ ـ ١٧ ـ ١ مثل الدور فى البـرهنة: كالقول بأن القواعد السلـيمة هى التى تستنبط من الجمل الصحيحة وأن الجمل الـصحيحة هى التى تتولد عن القواعد (قارن: النقد فى ديك ١٩٦٧؛ وأوهلينبك ١٩٧٣).

١ ـ ١٧ ـ ٢ وكـالاعتـماد عـلى الحـدس: أى أن يأتـى اللـغوى بـالجمـل التوضيحية التى هى (بحسب الحدس) مطابقة أو غير مطابقة للقواعد (النقد فى

ديك ١٩٦٧ : ٣٧٢؛ وأندرسون ١٩٧٦ ٦٩؛ وسليزنجر ١٩٧٧ ٢١)، وبذا يصبح اللغوى نفسه هو مساعد البحث، ومن ثم يكون حرا فى استبعاد الأمثلة غير المقبولة لديه بحسب الرغبة (قارن: رايزر ١٩٧٨ : ٨) مضحيا هكذا بالموضوعية والتعميم كليهما

١ ـ ١٧ ـ ٣ ـ وكالاعتداد بالتفريق بين النظام والأداء: فجميع مادة البحث التى لا تتطابق مع النظرية تستبعد بوصفها أمورًا غير ذات أهمية (النقد فى ديك ١٩٧٢ : ٣١٤). والمثال الفاضح المنطوى على هذه المفارقة ما نجده لدى دريشر وهورنشتاين (١٩٧٦ : ٣٢٨) من دعوى أن دراسة النظام تنبثق abstract away عن مسألة الأداء فى جملتها وهى التى تتناول مشكلات مثل: كيف يجرى تطبيق نظام اللغة فى زمن حقيقى، ولماذا يقول المتحدثون ما يقولون، وكيف يجرى استعمال اللغة فى مجموعات اجتماعية مختلفة، وكيف تستعمل اللغة فى الاتصال إلخ. إن حرمان مستعمل اللغة من كل هذه المعرفة لا يمكنّه من اكتساب مقدرة لغوية الا مع انحراف شاذ يصيب هذا المفهوم (مفهوم المقدرة) لدى استعماله فى الفهم العام.

١ ـ ١٨ ـ وإذا لم يتوافر لنموذج لغوى ما أن يعين إلا على نسبة وصف تركيبى للجمل فإنه يستحق الوصف القديم بأنه «لسانيات بنيوية وصفي»Structural Discriptive Linguistics لا أنه توليدى generative. أما إذا استحق النموذج أن يوصف بهذا الوصف الأخير فينبغى أن يوضح كيف يستعان به على معرفة كيفية إحداث النطق (أندرسون ١٩٧٦ : ١١٨؛ وسيجوز ١٩٧٨ : ٢) هنا فقط يمكننا إلى حد معقول أن نقوم باختبارات عملية، وأن نتفق على مستويات فكرية للتقويم والتطبيق وتفضيل رأى ما فى اللغة على بقية الآراء.

٢ ـ مستويات من نماذج اللغة
LEVELS IN MODELS OF LANGUAGE

٢ ـ ١ ـ يمكن لنص منطوق أو مكتوب باللغة الانجليزية أن يكون أو أن يبدو مركبا من أمور مختلفة فقد يلاحظ من يتأمله رتلا من الأصوات أو الصيغ التى يتلو بعضها بعضا فى الزمن الحقيقى للكلام، أو حركة من الشمال إلى اليمين على الصفحة؛ وربما لاحظ متأمل آخر أن المقصود بالنص أن يشتمل على معلومات وعلى معنى؛ وقد يلاحظ متأمل غيره أن النص يمكن أن ينقل الى شخص ما مطلبا أن يفعل شيئا ما أو أن يصل إلى غاية ما. وكل هؤلاء المتأملين يدركون ناحية واحدة متزامنة من النص، وهى واحد من مستوياته (LEVELS)[٥]. ومن المعقول أنه لابد للسانيات أن تحاول استنباط هذه المستويات وتنظيمها بوصفها مجالا حقيقيا للبحث.

٢ ـ ٢ ـ ولقد كانت بداية اللسانيات فى مراحلها الأولى تعتمد على الزعم أن كلا من المستويات ينبغى أن ينظم مستقلا عن الآخر (مثلا: تريجر ١٩٥٠). ويظهر أن هذه النظرة تصلح لوصف الأصوات، وإن كان كينيث بايك (١٩٦٧: ٣٦٢ والتى بعدها) يلاحظ أنها لم تكن موضع التزام حتى من المدافعين عنها. ثم طرأت مشكلات حادة فيما بعد حين اتجه النظر إلى الحد الفاصل بين الصرف morphology والنحوsyntax ، وجرى تحديد الفرق بين المفهوم الاستبدالى paradigmatic الذى يعين على معرفة أى من الوحدات يمكن أن تشغل موقعا ما، والمفهوم الرّصفى Syntagmatic الذى يحدد توالى المواقع ذاتها.

٢ ـ ٣ ـ واشتد إصرار قوم على استقلال النحو عن المعنى (قارن: هاريس ١٩٥١؛ وتشومسكى ١٩٥٧). ووجد هاريس بذاته أن من المناسب أن يستعمل

---

(٥) كان مصطلح level يستعمل دون تميز فى الماضى ليصير فى الأغلب مثقلا بمفاهيم مثل rank وعندى ان level يمثل نظرة كلية للتكافل فى نظام اللغة؛ أما rank فيقصد به منزلة من منازل مجال متدرج من حيث الحجم (مثلا كلمة، جملة الخ)

المعنى بوصفه أقرب الطرق إلى تحليل اللغة على شرط أن يصل التوزيع الشكلى الخالص distribution* لعناصر اللغة إلى النتيجة ذاتها. ولقد افترض هاريس فى واقع الأمر أن معنى عنصر ما هو مجموع الشقوب slots التى يحتلها فى الاستعمال. وليس هذا الافتراض نفسه بعيدا عن العقلانية، غير أنه لايصلح للتطبيق لا بالنسبة لنموذج من نماذج التحليل اللغوى ولا لأنشطة اللغة الإنسانية. وذلك من قبل أن المعنى بحسب هذا الافتراض سيظل خافيا حتى يستوفى المرء استعراض كل التوزيعات التى يتوزعها عنصر ما.

٢ ـ ٤ ـ على أن افتراض هاريس أدنى إلى تعليق البت فى أمر الفصل بين النحو والمعنى منه الى التمسك بهذا الفصل. إن المعنى والنحو لابد أن يتفاعلا حتى تصل عناصر اللغة إلى توزيع ما. ومع ذلك سأزعم أنه ينبغى لنا أن نتقدم بعض الشىء فنبحث عن احتمال PROBABILITY ورودكل من العناصر فى مواقع محددة بحسب النظام. عندئذ نجد أن حسن السبك- well formedness (أى مطابقة النحو) فى توالى عناصر اللغة لا يعد مبدأ كافيا ـ إذا نظرنا إليه لذاته (قارن: الفصل الثانى ـ ٢ ـ ٣٦ وما بعدها؛ والفصل الرابع ـ ١ ـ ٢٤).

٢ ـ ٥ ـ ومع أن تشومسكى (١٩٥٧) يكرر التأكيد على استقلال النحو عن المعنى حاول النحو التحويلى الهرب من مغبة قصور فكرة التوزيع التى جاء بها هاريس. فلقد شرع تشومسكى فى إنشاء نظام من القواعد التجريدية التى تنتج كل التوزيعات المقبولة فى اللغة بدلا من أن يحلل توزيعات عناصر اللغة على هذا النحو السابق. وهكذا تحوّل الانتباه عن تحليل الكثير من الأمثلة إلى إنشاء القواعد، ولم يؤد هذا التحول فى جوهره إلى تبسيط البحث فى اللسانيات، لأن كل مثال مخالف لـلقواعد السابقة كان سببا فى نشأة قواعد جديدة. فكان ذلك من عوامل صيرورة النموذج التحويلى محصنا ضد التخطئة من حيث هو نظرية.

---

* يقصد بلفظ distribution اختصاص العناصر اللغوية بمواقع معينة فى السياق.

٢ ـ ٦ ـ من الأمور التقليدية فى السيميو طيقا Semiotics أن يتم تصنيف كل نواحى الصورة الشكلية تحت مفهوم النحو (SYNTAX) وكل نواحى المعنى تحت مفهوم الدلالة (SEMANTICS) كما يتم تصنيف الجانب الاستعمالى للغة تحت مفهوم التداوليات (PRAGMATICS) ولقد بدأ المنهج التحويلى بمجموعة حرة من القواعد النحوية لعلاج اللغة كلها. أما الدلالة فقد جعلها تفسيراً للجمل التى ينتجها النحو بعد تمام إنتاجها، وأما الأغراض التداولية فقد أضيفت فى بعض النماذج بوصفها مرحلة لاحقة من التفسير. وقد اضطر هذا المنهج إما إلى تجاهل التفاعل بين هذه العوامل الثلاثة فى الإنتاج والفهم الفعليين للكلام، وإما إلى إعادة بناء ذلك كله فى قواعد نحوية اعتباطية. وفى عرض بديل لما تقدم تم إعطاء المعنى دوراً أوليا منذ البداية فيما عرف باسم الدلالة التوليدية Generative semantics (انظر الفصل الثانى ـ ١ ـ ٦). ومع صرف النظر عن القضايا المفصلة عن بناء القواعد أثار النزاع حول هذه الأمور إلى مسألة أساسية تتعلق ببناء نماذج اللغة وسأتناول هذه المسألة هنا من وجهة نظر تعتد بالنظام.

٢ ـ ٧ يمكننا فى تناول نظرية الأنظمة أن نميز بين اتجاهين هما: القولبة -mod ularity والتفاعل interaction (قارن: سوسمان ١٩٧٣ : ١٢ والتى بعدها؛ وفينوجراد ١٩٧٥ : ١٩٢) فالاعتماد على المنطق الصورى والرياضات فى النحو التوليدى ينشأ عنه الطابع القالبى، الذى تكون العناصر به مستقلا بعضها عن بعض، وبذا تصبح العمليات صعبة (قارن: ليفسك وميلوبولس ١٩٧٢ : ٢). وستتجه نظرتى هنا إلى مبدأ التفاعل الذى بدونه يصبح الانتفاع بالنص بكل بساطة غير صالح للحدوث ٠ قارن : الفصل الثانى ـ ١؛ ووكر ١٩٧٨).

٢ ـ ٨ تخيل للحظة نوعا مختلفا من نماذج اللغة يمكن أن نبدأ فى بيانه بواسطة هذين النوعين المشهورين من المستويات وهما:

٢ ـ ٨ ـ ١ ـ النحو من حيث هو SYNTAX PROPER ويختص بالصور المجردة للجمل التى تشترطها قواعد اللغة grammar بقطع النظر عن سياق الموقف context

٢ ـ ٨ ـ ٢ ـ الدلالة من حيث هى SEMANTICS PROPER وهى تختص بالعلاقات بين العلامات والرموز وما تشير إليه أو تعنيه (وودز ١٩٧٥ ٤١). إن جملة العلامات والرموز وبيان معانيها يشتمل عليها المعجم LEXICON فإذا حُدِّدت مفردات المعجم بحسب مضامينها فإن لدينا فى هذه الحالة ما يسمى بالمعنى المضمونى INTENTIONAL MEANING (فمثلا: الأزرق لون يقع فى درجات ألوان الطيف بين الأخضر والبنفسجى). وأما إذا حُددت هذه المفردات بواسطة الإحالة REFERENCE إلى أشياء فإن لدينا عندئذ ما يسمى بالمعنى الإحالى EXTENSIONAL MEANING (فمثلا: الأزرق وصف مشترك بين جميع الأشياء الزرقاء فى العالم). وتوصف معايير الحكم على صدق التعبير عن عالم ما، وعلى جميع العبارات فى هذا المنظور بأنها شروط الصدق TRUTH CONDITIONS، كما أن مدى شمول الإشارة لشئ واحد أو لطائفة من الأشياء إنما هو قضية تحديد كمى QUANTIFCATION (فمثلا: كل شخص، أو جميع الأشخاص). أما احتمال العبارة أو ضرورية دلالتها على عالم ما فهو أمر يتعلق بالأسلوبية النحوية MODALITY.

٢ ـ ٩ ـ وبحسب التحديد السابق يستقل النحو والدلالة أحدهما عن الآخر. ومن الممكن النظر إلى صورة رصف الكلام قبل الحكم بأن مفردات معجمية بعينها تصلح للوقوع فى مواقع بعينها. ولا حاجة بالمعنى المعجمى أن يَفْرض على لفظ ما أن يرد فى موقع معين، ومع ذلك لا يمكن أن يتم التكلم دون اللجوء إلى التمسك بهذه الشروط والالتزامات، ولا أن يكون فهمه بدون الكشف عن ذلك. ومغزى هذا أن النحو من حيث هو والدلالة من حيث هى كما وصفا منذ قليل يعدّان مكونين للغات منطقية لا للغات طبيعية توجد فى حالة استعمال. دعنا بدلا من ذلك ننظر إلى مستويين مختلفين من مستويات استعمال اللغة:

٢ ـ ٩ ـ ١ ـ الدلالة النحوية SEMANTICS OF SYNTAX وهى تعنى بكيفية انتفاع الناس بالأنماط والتتابعات الشكلية فى استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما. فملاحظة تتابع ما لاسم وفعل يمكن أن يثير توقعا هو أن فاعلا وحدثا قد جرى التعبير عنهما (قارن. الفصل الثالث ـ ٤ ـ ١٦ ـ ١)

٢ ـ ٩ ـ ٢ ـ النحـــو الدلالى SYNTAX OF SEMANTICS وهو يهـتم بكيفـية ارتباط مفـاهيم مثل فاعل وحـدث وحالة وصفـة إلخ، من أجل إيجاد معنى كلى للنص. فـالدلالة النحوية أكثـر اتساما بالتنـظيم الرصفى النَّظْمى من النحو الدلالى. فالحدث مثـلا يمكن أن يتصل بفاعل أو زمن أو مكان أو سبب وهلم جرا، على حين تكون حالات التـوالى المختلفة ممكنة فى التعبـير (قارن: الفصل السـابع ـ ٢)، (بالـنسبـة لقواعـد ليس لهـا رتبة ثابـتة قـارن: بيتـوفى ١٩٧٢).

٢ ـ ١ ـ ليـست هذه المسـتـويات المتـشابكة جـديدة تماما (قـارن: إهوى ١٩٧٢: ٣٣٩؛ وشانك ١٩٧٥ ـ b: ١٤ وما بعـدها؛ ورايزر ١٩٧٦: ١٣)، ومهمتهـا إيجاد التوازى بين ما يقوم به الناس من عمل عند اسـتجابتهم للمعنى فى الكلام المتـصل. ولسوف أزيد هذا الاتجـاه وضـوحا بتـتبع مـفاهيم مـثل: الترابط الرصفى SEQUENTIAL CONNECTIVITY أى ترتيب العناصـر فى النص السطحى، والترابط المفهومى CONCEPTUAL CONNECTIVITY أى كيفية تجـمع المفاهيم والعلاقات [٦]. وتتحكم إجـراءات التخطيط MAPPING PROCEDURS فى التـفـاعل بين هذين الأمـرين (قارن: جـولدمـان وبولزر ووايل ١٩٧٧). والنتيجة التى تأتى عن اختـيار إجراءات التخطيط لإنتاج النص تسمى أسلوب STYLE النص.

٢ ـ ١١ ـ بعد تنظيم كل المستويات اللغوية تبـدو اللغة فى جملتها فى صورة نظام متشابك INTERSYSTEM تتوقف صلاحيـته على تكافل الأنظمة المكونة (قـارن: هاليـدى: ١٩٦٩؛ وبرى ١٩٧٧؛ ودريـسلر ١٩٧٩). ولكـل نظام ضوابطه الـداخلية INTERNAL CONTROLS التى تنـظم سنوح البـدائل وإمكان التركيبات، ثـم ضوابطه الخارجية EXTERNAL CONTROLS التى

(٦) قارن مفهوم Sence constancy عند هورماد ١٩٧٦ ـ الفصل السابع.

تنظم تكافل هذا النظام مع الأنظمة الأخرى (٧) ولا غنى عن أى من النوعين عند إنتاج النصوص واستخدمها؛ غير أن الضوابط الخارجية أى الأغراض النفعية لم تحظ بكبير اهتمام فى المناقشات اللغوية

٢ ـ ١٢ ـ لقد ألحقت قضايا هذه الضوابط بحقل لم يستكشف بصورة كافية هو حقل التداوليات PRAGMATICS وهو يتناول استعمالات اللغة. وتتحول التداوليات على مستوى البرهنة إلى نوع من مادة «ما وراء اللغة» و«ما وراء الدلالة» أى الوعى الذاتى بالأحكام التى تتخذ بالنسبة للرصف والمعنى. وللوصول إلى تصميم صالح ينبغى لكل نظام أن يشتمل على ضوابطه الداخلية التى هى جزء من بنائه على أى حال. إن التداوليات فى ذاتها مجال للنشاط الإنسانى فى حقل تخطيط PLANNING النصوص بوصفها مطايا للأعمال ذات المقاصد التى تتجه إلى غايات (بوجراند ١٩٧٩ ـ b). وتتطلب نظرية النصوص بناء على ذلك ثالوثا من المجالات إلى جانب الخطة السيموطيقية الماضية:

النحو: الترابط الرصفى SEQUENTIAL CONNECTIVITY

الدلالة: الترابط المفهومى CONCEPTUAL CONNECTIVITY

التداولية: أعمال ـ خطط ـ أغراض ACTIONS - PLANS - GOALS

وكل من هذه المجالات يخضع لضوابط تتعلق به أثناء الاتصال. وتأتى العناصر المعينة بخصوصها فى حدود استمرارية CONTINUITY تنشأ من الطبيعة التوجهية DIRECTIONALITY لمجرى الضوابط CONTROL FLOW. وبهذا تفتقر هذه العناصر إلى نظرة ديناميكية لا تتجه إلى البحث فى

(٧) يشترط لوزمان (١٩٧٠) فى نظريته التى وصفها للأنظمة العامة أنه يجب لكل نظام أن يفرق بين الداخلى والخارجى أى أن يفرق بينهما من حيث البيئة ولقد اهتمت اللسانيات بالتفريق بين مجموعات من عناصر النظم على حساب العمليات والوظائف والضوابط وكما يقول ج أندرسون (١٩٧٦ ٨٩) إن دراسة ذلك قد تمت فى النظريات المعرفية cognitive

مثول تراكيب النص فقط، بل إلى العمليات التى يمكن أن تؤلف التراكيب وتبيّنها وتستفع بها كذلك (قارن: هارتمان ١٩٦٣ ـ a وموكاروفسكى ١٩٦٧: ١١؛ ودودز ١٩٧٠؛ وفينوجراد ١٩٧٢؛ وكوخ ١٩٧٦). فإذا عرّفنا التركيب بأنه علاقة توارد بين عنصرين نظاميين، على الأقل فمن الواضح أن نظرية استعمال اللغة ينبغى أن ترتكز على مفهوم الترابط CONNECTIVITY.

obeikandl.com

٣ـ النص فى مقابل الجملة
TEXT VERSUS SENTENCE

٣ ـ ١ ـ لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها فى العصور السحيقة على مفهوم الجملة SENTENCE دون غيره. ومن المقلق أن هذا التركيب الأساسى قد أحاط به الغموض وتباين صور التعريف حتى فى وقتنا الحاضر (د. كونيل ١٩٧٧؛ وجلينز ١٩٧٩). ومازالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف بصراحة بأنها تعريفات نهائية بله كونها أساسا لتوحيد تناول موضوعها. فمثلا. (١) إن «الجملة عبارة عن فكرة تامة» (انظر إيڤنش ١٩٦٥: ٢٠) أو «تتابع من عناصر القول ينتهى بسكتة» (انظر جاردنر ١٩٦٢: ٢٠٧؛ وجولدمان وآيسلر ١٩٧٢) أو «نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة» (قارن. هاريس ١٩٥١، وك فريز ١٩٥٢؛ وتشومسكى ١٩٥٧). إن اللمحات التضمنية الوظيفية لكل من هذه المعايير تختلف اختلافا تاما فيما بينها، وإن البحث العملى ليوضح أن الناس يختلفون فى أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة وعند النظر إلى السكتات التى فى الكلام نجد أن «كثيرا من القطع التى تراها هذه الدراسة جملا لن تعدّ من الجمل بمعايير أخرى» (بروين ١٩٧١: ٣) وثمة مشكلة أشد خطرا هى أن تحديد حدود الوقائع النطقية يجرى فى الغالب من خلال علامات غير لغوية (هورمان ١٩٧٦: ٣٢٩)

٣ ـ ٢ ـ ويقنع اللغويون من طريق الحدس كما لاحظ د. كونيل (١٩٧٦) بأن مفهوم الجملة أمر صرورى، وبهذا يتخطون الصعوبات المنهجية أما فى النحو التحويلى فيتم تعريف اللغة من حيث المبدأ بأنها مجموعة من الجمل، فكل ما لا يوجد فى الجملة (كالاسم مثلا [قارن ليز ١٩٦٠]) لابد أن يقدر بالتحويل أو الاستنباط ولقد عولجت الجملة أحيانا لا بوصفها نمطاً تحكمه قواعد نحويه، بل عولجت أيضا بوصفها قضية منطقية كلما تهيأت الظروف لذلك، ولكن ذلك من خواص اللغات المنطقية لا الطبيعية فتعريف مكونات

من قبيل «الموضوع» argument و«المحمول» predicate وارد من وجهة نظر المنطق logic، أما المركب الاسمى noun - phrase والمركب الفعلى verb - phrase فهى مكونات قواعدية خالصة

٣ ـ ٣ ـ يبدو أن اللسانيات تميل إلى الخلط بين التخطيط الاختيارى optional mapping والتخطيط الإجبارى obligatory mapping. فالجملة بحسب القواعد لا تمثل إلا تركيبا يمكن فى إطاره تخطيط الوحدات الدلالية والتداولية pragmat-ic؛ غير أن بعض اللسانيين يعدّون الجملة تركيبا لابد أن توجد به هذه الوحدات. غير أن الممارسة تهدم دعوى الاستقلال المزعوم للنحو، لأن الكثير من الصفات المنسوبة إلى الجملة تنتمى فى الواقع إلى الوحدات الدلالية والتداولية pragmatic، ولهذا يصعب النظر فى مسألة الكيفية التى يعزم DECIDE بها الإنسان على تخطيط شئ ما لغاية بعينها. ونستطيع فعلا أن نلاحظ أن الناس يصدرون الكثير من الأحكام فى شأن التراكيب النحوية (قارن الفصل السابع ـ ٢) ومادامت اللسانيات تفترض الجملة فى البداية فقد يصعب تناول هذه الحقائق؛ إذ يضطر الباحث فى اللسانيات أن يتناول ذلك فى صورة مَقْدِرَة مثالية ideal competence بعيدة وقاصرة. وهكذا قامت عقبة لا تستطيع النظرية اللسانية أن تتخطاها، لأن معظم المفاهيم الأساسية منقطع بعضه عن بعض، وبذا يتحول الكثير من الحقائق الأساسية للاتصال إلى مسائل غير مطروقة.

٣ ـ ٤ ـ وأزعم أن الكيان اللغوى المتعدد المستويات لابد أن يكون هو النص المشتمل على أجزاء Fragments يمكن لها أو لا يمكن أن تركب فى صورة جمل. ولى أن أذكر الفروق الجوهرية التالية بين النص والجملة:

٣ ـ ٤ ـ ١ ـ إن النص نظام فعال ACTUAL SYSTEM على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضى VIRTUAL SYSTEM، وسوف أوضح ذلك فى الفصل الأول ـ ٤ ـ ١

٣ ـ ٤ ـ ٢ ـ والجملة كيان قواعدى grammatical خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب أما النص فحقه أن يعرّف تبعا للمعايير الكاملة للنصية TEXTUALITY كما يجرى إيضاحها فى الفصل الأول ـ ٤ [٨]

٣ ـ ٤ ـ ٣ ـ إن قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة فى النص يمكن أن يتم التغلب عليها be OVERIDDIN بواسطة الاهتمام بتحفيزات تعتمد على سياق الموقف -CONTEXT - DEPENDENT MOTIVA TIONS[٩] . فالعناصر التى يمكن فهمها من الموقف مثلا من خلال الإدراك الحسى يمكن السكوت عنها أو اقتضابها بواسطة المتكلم دون ضرر يعود على الطاقة الاتصالية للنص. وهكذا لا ينبغى للصّواب النحوى أن يُعدّ قانونا بل أن يعدّ تعويضا DEFAULT أى معياراً يلجأ إليه فقط عند عدم وجود قرائن محددة، أو هو تفضيل PREFERENCE أى معيار يفضل على غيره حينما تتعدد الاحتمالات (قارن مفاهيم «default» و«most likly case» عند كولينز وبراون ولاركن ١٩٧٧ : ١٧ ؛ وpreference عند ويلكس ١٩٧٥ ـ b و١٩٧٨).

٣ ـ ٤ ـ ٤ ـ التمييز بين ما يطابق القواعد grammatical وما لا يطابقها non grammatical - تمييز تقابلى ثنائى binary opposition عندما يكون ثمة قواعد دقيقة وكاملة لضبط الجمل (لاكوف ١٩٧٧) (وهذا غير واقع حتى هذه اللحظة). فالحكم بأن تركيبا ما يعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التى تسمح بها القواعد النحوية. أما التمييز بين ما يعد نصا «text» وما لا يعد نصا «non - text» فلا يتم بمثل هذه المقارنة الآلية فكون النص مقبولا -ACCEPT ABLE أو غير مقبول NON - ACCEPTABLE يتم بحسب درجية معقدة لا بحسب تقابل ثنائى. ومما يتصل بذلك دائما الاعتماد على تحفيز يتم بحسب

(٨) ولهذا لا أجد داعيا لمناقشة ما إذا كان للجمل معنى فى داخل سياق الموقف أو خارجه (بيمر فى مقابل أولسون مقتبسا فى كيتسن ١٩٧٤ : ١٥) فالمعنى يتمى على أى حال إلى النص المكون من جمل. وهذا التركيب فى أقصى حالاته وسيلة لإيجاد علامات معينة لتكوين المعنى (قارن الفصل الثالث ـ ٤ . ١٦ وما بعدها)

(٩) وتعد ظاهرة الحذف ELLIPSIS ايضاحا جيدا لذلك

دافع الموقف contextual motivation ومن المعروف معرفة جيدة على سبيل المثال أن بعض النصوص الأدبية ذات القيمة إنما تعد فى واقعها وفيما ينبغى لها خارج نطاق أى نحو معقول (قارن: س. ليفين ١٩٣٢؛ وثرون ١٩٦٩؛ وفانديك ١٩٧٢ ـ a؛ و١٩٧٢ ـ b) (قارن: الفصل التاسع ـ ٧ ـ ١ وما بعدها). ولكون النص يحدد على أساس واقعه التطبيقى نجد اهتماما هامشيا بمفهوم اللا نص «non - text» (١٠). إن اللسانيين الذين يتعمدون تركيب نصوص غير مقبولة «non - texts» لا يساهمون فى الاتصال. وهكذا ليس من المحتمل بالنسبة لهم أن يوضحوا الوظائف الاتصالية.

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ينبغى للنص أن يتصل بموقف يكون فيه SITUATION OF OCCURRENCE تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات STRATEGIES والتوقعات EXPECTATIONS والمعارف KNOWLEDGE، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف CONTEXT. أما التركيب الداخلى للنص فهو سياق البنية CO - TEXT (انظر فى هذا التفريق بيتوفى ١٩٧١ ـ b و١٩٧٥ ـ a، وبيتوفى ورايزر ١٩٧٤) (١١). ويمكن للمرء من جهة أخرى أن يخطط جملا لا يمكن أبدا أن ترد دون تكلف، إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابع أو أكثر ابتذالا مما يتم قبوله؛ أو لكونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملى فى الأداء. فالقواعد التجريدية لتكوين الجملة لا يمكن التقنين لطولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة (١٢).

---

(١٠) إن استعمال الأمثلة المخالفة التى يعد الكثير منها شاذا أو مصنوعا قد صادف مبالغة فى شأنه فى المناقشات اللسانية سعيا دون شك إلى إقرار قواعد قطعية (بعيدة عن سياق الموقف) جيدة السبك والأمثلة المضادة لا تتغلب على الاطراد المهم للغة (ويلكس ١٩٧٥ - a. قارن الأمثلة الواردة فى هامش ١٤.

(١١) استعمال بيتوفى لهذه المصطلحات الثلاثة أكثر ضبطا. فمصطلح co - text يتضمن كما قيل مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات (أو فى النصوص المكتوبة «خط وإملاء»). أما مصطلح context فيتضمن دلالات خارجية وإنتاج النصوص واستقبالها (بيتوفى ورايزر ١٩٧٤؛ وبيتوفى ١٩٧٥ - a ١)

(١٢) لهذا كان المثال رقم (١٩٤) فى الفصل السابع - ٢ - ٢٥ مطابقا للقواعد ولكنه غير مقبول فى الاتصال

٣ ـ ٤ ـ ٦ ـ ولا يمكن النظر إلى النص برغم أنه مجرد صورة مكونة من الوحدات الصرفية morphemes أو الرموز إذ النص تجلٍّ لعمل ACTION إنساني يَنْوِي به INTENDS شخص أن ينتج نصا ويوجه INSTRUCTS السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة. وهكذا يبدو هذا التوجيه INSTRUCTION مسببا لأعمال إجرائية (قارن: شميدت ١٩٧١ ـ c و١٩٧١ ـ d و١٩٧٣؛ وفاينريش ١٩٧٦). والنصوص تُراقب MONITOR المواقف SITUATIONS وتوجهها MANAGE وتغيرها CHANGE كذلك (قارن: كومر ١٩٧٥؛ والفصل السادس - ٤). وليست الجملة عملا؛ ولهذا كانت ذات أثر محدود فى المواقف الإنسانية، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب.

٣ ـ ٤ ـ ٧ ـ النص توالٍ PROGRESSION من الحالات STATES (تشيف ١٩٧٦: ٢٧ والتى بعدها؛ وفاولر ١٩٧٧: ٧٧). فالحالة المعلومية knowledge state والحالة الانفعالية emotional state والحالة الاجتماعية social state إلخ لمستعملى النص عرضة للتغير CHANGE بواسطة النص (قارن: «epistemic change» لدى فاندايك ١٩٧٧: ١٩٤). ويأتي إنتاج النص وفهمه فى صورة توالٍ من الوقائع. وفى كل نقطة من نقاط هذا التوالى تطبق الضوابط السائدة Current controls التى لاتدعو ضرورة ما إلى كونها من قبيل المبادىء التجريدية للصياغة. فضوابط بدايات النصوص على سبيل المثال تختلف عن ضوابط استمرارها ونهاياتها (قارن: هارفيج ١٩٦٨ - b) وفى المقابل يجرى النظر إلى الجمل بوصفها عناصر من نظام ثابت متزامن SY-NCHRONIC SYSTEM (أى نظام يُرى فى حالة واحدة مثالية مفارقة للتطور) لتنطبق الضوابط انطباقا مطردا CATEGORICALLY (على سبيل الوجوب والصواب) أولا تنطبق أبداً.

٣ - ٤ - ٨ - إن الأعراف الاجتماعية SOCIAL CONVENTIONS تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعى الاجتماعى ينطبق على الوقائع لاعلى أنظمة القواعد النحوية والوسم markedness الاجتماعى

تراكيب بعينها لايؤثر إلا فى قسط ضئيل من مجموع القواعد، ولايظهر إلا بتوسط عوامل غير جوهرية فى المواقف المعنيّة[١٣] ولقد اضطر وليام لايوف (١٩٦٩) فى سعيه إلى تناول القضايا الاجتماعية بواسطة نظرية للجملة أن ينشىء حشدا من القواعد التى سماها متغيرة Variable أى ليست مطلقة -cate gorical وفى اعتقادى أن اللسانيات المبنية على طابع الممارسة ستكشف عن أن قواعد اللغة فى جملتها متغيرة طبقا لمطالب المواقف الجارية، وبدلالات فعاليات النص التى تسعى إلى ايجاد تأثيرات خاصة[١٤].

٣ - ٤ - ٩ والعوامل النفسية PSYCHOLOGICAL FACTORS أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل (قارن : فاندايك ١٩٧٢ - a : ٣٢٥؛ وأورتونى ١٩٧٨ - a : ٦٣). فالجملة من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافى heuristic بجانب أمور أخرى تعين على الغايات الشاسعة للاتصال (وكونيل ١٩٧٧) كالتعبير وتذكر المعلومات أو السعى إلى غاية ما. أما حدود الجملة فيتم تعيينها فيما بعد أثناء إنتاج النص، ثم يستغنى عنها فى المراحل الأولى للفهم (برايزفورد وفرانكس ١٩٧١). وتلتمس نظرية الجمل فى مقابل ذلك تبريراً لذاتها فى جعل عوامل معينة منفكة عن موضوع النظرية كمحدودية الذاكرة وحالات الانشغال distractians، وتحويل الانتباه والاهتمام وهلم جرا (تشومسكى ١٩٦٥ : ٣ والتى بعدها). إن وفرة التجارب التى تسعى إلى استكشاف الجمل هى لهذا السبب موضع اعتراض من حيث المبدأ؛ ومع ذلك بعج الباحثون الجملة بكثير من الأمور الأخرى التى تظهر لدى تطبيقاتها العملية إشارات نافعة فى دراسة النصوص.

٣ - ٤ - ١٠ - إن النصوص تشير إلى PRESUPPOSES نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل. ويعتمد متعلمو اللغة فى

---

(١٣) إن ازدواج الفاعل فى صورة اسم ظاهر وضمير مثلاً ربما عاد إلى طرق إجراء الصياغة التى هى من قبيل ما نوقش فى الفصل الخامس - ٥ - ٨.

(١٤) بعض الأمثلة التى تبين كيفية استعمال الناس للغة بطرق غير مألوفة بقصد التأثير يمكن أن يوجد فى الفصل الثانى - ١ - ٨، والرابع - ١ - ١٧. والرابع - ١ - ١٩، والخامس - ٢ - ٣، والخامس - ٤ - ١١، والخامس - ٤ - ١٢، والسابع - ٢ - ٣٢.

استخدامهم للجمل على معرفة القواعد من حيث هى نظام افتراضى عام. أما من أجل استعمال النصوص فإن الناس بحاجة إلى معرفة عملية بالأحداث الجارية بخصوصها (قارن: الفصل الأول - ٤ - ١ المعرفة بين النظام الفعال والنظام الافتراضى). وتنطبق هذه الحالة من التناص INTERTEXTUALITY (قارن : الفصل الأول - ٤ - ١١ - ٦) على الملخصات ومسوداتProrocols الموضوعات والاستطرادات والإجابات ومحاكاة النصوص parodies.

٣ - ٥ - إن الفروق الأساسية بين النص والجملة بوصفهما مفهومين لغويين لها دلالة مهمة فى تطور لسانيات النص :

٣ - ٥ - ١ - فالخلط والإدماج فى فهم أمور مثل : الجملة، والقضية، والقول يجب أن تفسح الطريق للبحث فى إجراءات التخطيط mapping proce- dures التى تحكم تفاعل المكونات على مستويات لغوية مختلفة (قارن : الفصل الأول - ٢ - ١٠).

٣ - ٥ - ٢ - وينبغى للبحث عن قواعد مطلقة CATEGORICAL RULES أن يعاد توجيهه إليها باحتسابها تعويضات DEFAULTS وتفضيلات PREEFERENCES تصلح للتطبيق باحتمالPROBABILITY أكبر وأصغر بقصد الاستجابة للموقف (انظرسميث ١٩٧٣ من أجل نظريات الاحتمال فى الأداء). ولا يمكن لنظرية النص أن تقرر ما يجب أن يحدث طول الوقت، بل ولامايحتمل أن يحدث معظم الوقت فى ظروف الضوابط السائدة.

٣-٥-٣- ولايمكن للبحث أن ينبنى ولا للنتائج العامة أن تستنبط من الجمل الإيضاحيةDEMONSTRATION SENTENCES فقط إذ يصنعها الباحث من أجل دعم رأى بعينه. فالمجالات الأكثر إقناعا للحصول على الشواهد هى النصوص المستعملة بالفعلACTUALLY OCCURRING TEXTS والتى يؤدى بها الاتصال (لا توضيح الضوابط والقواعد). وإذا لم نستطع الحصول على الشواهد العفوية فى إحدى الحالات وجب علينا أن نحترس من زعم صحة آرائنا. فلقد قام نحاة الجملة مثلا بالكثير من البحث ليتناقشوا حول مدى تعدد حالات الإدماج Multiple Embeddings الذى يصعب الكشف عنه فى الاتصال الحقيقى (قارن : الفصل الثانى - ٢ - ٢٧).

٣- ٥- ٤- وبينا نجد معظم ما أصاب نظريات الجملة من نجاح يعود إلى عمليات استبعاد الأمثلة غير المقبولة (رايزر ١٩٧٨ : ٨) نرى نجاح لسانيات النص يعتمد على أساس تجريبى واسع- إذ يجب أن نبحث بنشاط عن الشواهد المتنوعة من كل أجناس النصوص: من القصص، والروايات، والإعلانات، ومن كثير مما دون ذلك.

٣- ٥- ٥- ولا يمكن للسانيات النص أن تعمل على تهيئة نحو تجريدى لتوليد كل النصوص الممكنة فى اللغة، واستبعاد كل ما ليس نصا non-text. فمجال التوليد أوسع من أن يحاط به، ويطرد اتساعه على الدوام. إن مفهوم ما ليس نصًا ليس ذا خطر، لأن وروده يؤدى فى العادة إلى عدم قبوله أو إلى عدم القدرة على الاتصال. أما العمل الأهم للسانيات النص فهو بالأحرى دراسة مفهوم النصّية TEXTUALITY من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الإتصالية المتخذة من أجل إستعمال النص.

٣- ٥- ٦- إن النماذج التى تبدو أكثر مناسبة للعمليات OPERATIONS المنتجة فى مجال استخدام النص TEXT UTILIZATION يجب أن ننسب إليها أعلى قيمة بوصفها تفسيرات إيضاحية. ولا ينبغى للصياغات التجريدية التى تتفرع عنها تراكيب متعمدة أن تعدّ ممثلة للغة الإنسانية حتى حين تكون عظيمة الجدوى فى الإيضاح. ذلك بأنها فى أحسن أحوالها صنعة من أجل المساعدة والوساطة يتم استبعادها عندما نقترب من نموذج مقبول عن نماذج النشاط الإنسانى.

٣- ٥- ٧- وينبغى لمفهوم المقدرة Competence أن يحظى بنظرة أكثر اتساما بالتكاملية مما يجرى فى العادة فى قواعد الجملة sentence grammar (قارن الفصل الأول- ١- ١٧- ٣). فعلينا أن نبحث فى تحديد القدرات abilities التى تجعل الناس فى العادة من أصحاب المقدرة Competent على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم (وإن لم يكن شاملاً). وهذا النوع من نظرية النص سيكون ذا طابع ذهنى mentalistic فى معناه الأساسى (قارن: فودرو بيفروجاريت ١٩٧٤) وصالحا من الناحية العملية للتصديق والتكذيب.

٣-٥-٨- يجب إيجاد تراكيب formulations وشواهد representations يمكن أن تقبل قبولاً حسنًا من حيث هي إجراءات PROCESSES، لا من حيث كونها تصميمات متخذة من مصدر غير معلوم (مثلاً: الأشكال التفريعية trees، أو الصيغ). وينبغي أن ينم الشاهد عن كيف تنبني be Built هذه العناصر المذكورة وكيف تضبط Be controled وكيف يتاح الوصول إليها be Accessed (رميلهارت ونورمان ١٩٧٥- a: ٣٥؛ و ج. أندرسون ١٩٧٦: ١٠؛ وهورمان ١٩٧٦: ٤٨٥؛ ولوفتوس ولوفتوس ١٩٧٦: ١٢٤؛ وليفيسك وميلوبولوس ١٩٧٨: ٣).

٣- ٥-٩- وينبغي لأي من القواعد RULES المفترضة أن تشتمل في الوقت ذاته على إجراءات PROCEDURES ممكنة. فقواعد بناء الجملة مثلاً لابد أن تقدم لنا الإمكانات الإجرائية التي يمكن تطبيقها في زمان حقيقي تحت شروط طبيعية مثل مدى طول الذاكرة والقدرة على التخطيط (روميلهارت ١٩٧٧ - a: ١٢٢).

٣-٥- ١٠- وفوق كل ذلك يجب لجهودنا أن تكرِّس مبدأ تكافل العلوم المختلفة INTERDICIPLINARY Co- OPERATION - لأن اللسانيات وحدها لا تستطيع أن تقدم الخبرة المطلوبة لمعالجة النواحي النفسية والاجتماعية والحسابية للنص المستعمل (فاندايك ١٩٧٢ - a: ١٦١).

٣- ٦- ولي أمل أن أحقق هنا بداية متواضعة في سبيل معايشة هذه المعايير. وأؤكد أن مقترحاتي لابد أن تكون مبدئية في انتظار بحث أكثر شمولاً- غير أنني على الأقل حاولت أن أعمل باستبصار معقول قدر الطاقة في ضوء طائفة تجمعت لديّ من البحوث الحديثة.

٤ ـ النصية
TEXTUALITY

٤ ـ ١ ـ علينا أن نلاحظ أن التفسير العام لمفهوم النظام system الذى ورد فى الفصل الأول ـ ١ ـ ٦ لا ينطبق على مستوى اللغة فقط، بل على النص أيضا (هارتمان ١٩٦٣ ـ a: ٨٥ والتى بعدها؛ وفاولر ١٩٧٧ : ٦٩) إن تكافل الأنظمة فى لغة طبيعية كالانجليزية مثلا ينبنى على نظم افتراضية، أى تجمعات وظيفية لعناصر لم توضع إمكاناتها فى ظروف استعمال. مثال ذلك مجموع الأصوات والصيغ المعقدة وأنماط الجمل وأسماء المفاهيم الخ التى تهيئها لغة ما لمستعمليها. وفى مقابل هذه التجمعات نجد النص نظاما فعالا ACTUAL SYS-TEM، أى تجمعا من الوظائف يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذين يكونان بين عناصر النظام الافتراضى (هارتمان ١٩٦٣ ـ 6: ٩٦ والتى بعدها؛ وجوليسن ورايبل ١٩٧٧ : ٣٤ وما بعدها). لهذا يمكن لإنشاء evolu-tion النص أن يوصف بأنه تفعيل AXTUALIZATION وهذه السمة من سمات الورود كما قلت فى «الفصل الأول ـ ١ ـ١ والتى بعدها» هى المعيار الجوهرى للتعرف على النص بهذا الوصف ويتبع ذلك أن النص ليس مجرد منزلة rank مختلفة عن منزلة الجملة (حسن ١٩٧٨ :٢٢٨) على الرغم من آراء بعض الباحثين (مثلا: بايك ١٩٦٧؛ وجونز ١٩٧٧). وقد يكون النص أكثر من كلمة واحدة، وقد يتألف من عناصر ليس لهاما للجملة من الشروط (مثلا: علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها).

٤ ـ ٢ ـ ولقد كرست اللسانيات جهدها منذ سوسير لدراسة النظم الافتراضية. ومع هذا لا تكفى معرفة النظم الافتراضية لمنح الناس القدرة على الاتصال إلا بطريقة لا هى مباشرة ولا كافية. فلا ينبغى أن تكون المعرفة الإنسانية مقصورة على الإمكانات المتاحة فقط، بل ينبغى أن يعلم الناس أىّ الاحتمالات أولى بالاختيار وأصلح للاستعمال فى موقف بعينه ولغرض بذاته.

إن النواحى الافتراضية للتقابلات المتبادلة mutual oppositions والتفريقات differentiations (تبعا لسوسير)، وجودة السبك Well - formedness (تبعا لتشومسكى) دليلان غير مكتملين. وأنا أرى قصور أى فهم للمقدرة compe-tence لا يعتد بمرتكزات strategies التفعيل actualization التى يسلطها الناس على النظم الافتراضية. ولقد لوحظ فى دراسات النصوص الشعرية أن هذه المرتكزات ربما تفضى إلى نصوص مخالفة لشروط ايقاع النظم الافتراضية (قارن: ليفن ١٩٦٢؛ وموكاروفسكى ١٩٦٤؛ وثرون ١٩٦٩؛ وبوجراند ١٩٧٩ ـ e).

٤ ـ ٣ إن التفعيل إجراء يمكن استكشافه فى حدود تنظيمات السيبر نطيقا CYBERNETIC REGULATIONS (قارن: بروور ١٩٧٤؛ وكلينجر ١٩٧٧). فالنظام السيبرنطيقى CYBERNETIC SYSTEM ذو تنظيم داخلى يجعل من المستطاع أن نطبقه على الوقائع الجارية بواسطة التنظيم الذاتى self regnlation (قارن: كلاوس ١٩٦٣ و ١٩٧٢). والغاية الرئيسة للنظام هى ثبات STABILITY الحالات والعمليات. فإذا كان فى وسع النظام أن يتكيف adapt بحسب أنواع من الوقائع فهو عظيم الثبات ULTRASTABLE، وأما إذا اشتمل على عدد من النظم الفرعية عظيمة الثبات فإنه يكون نظاما فائق الثبات MULTISTABULE (كلاوس ١٩٦٣ : ١٢٥). ويمكن للنظام أن يكون أكثر من ذلك تأثيرا اذا اشتمل على نموذج داخلى INTERNAL MODEL لبيئته. وإذا كان من الممكن أيضا أن ينطبق دائما على هذه البيئة (أى أنه نظام صالح للتعلم A LEARNING SYSTEM وتصلح هذه الصفات المذكورة أن تنسب إلى نظام تكاملى للغة. ويتم التثبيت المصطنع لوظائف النظم الافتراضية من وجهات نظر تجريدية تزامنية SYNCHRONIC، ومع هذا تتطلب بيئة التطبيق تكييفا adaptation دائما لهذه النظم الفرعية بحسب النص. ومن نتائج ذلك أن نظام النص الذى جرى تطبيقه لا يكشف عن النظم الافتراضية التى ساهمت فى ذلك فقط، بل يكشف أيضا عن التعديلات الملائمة والتكييفات التى وقعت أثناء اجراء استعمال النص. وتظل الأنظمة ثابتة إذا دعمت الاستخدام UTILI-

ZATION التماسك CONTINUITY ولو أن معظم النصوص فى ذاتها جديدة إلى حد ما على الأقل، وتشتمل أحيانا على فجوات كبيرة أو صغيرة من وجهة نظر النظام.

٤ ـ ٤ إن ثبات STABILITY النص بوصفه نظاما سيبرنطيقيا يتوقف على تماسك CONTINUITY وقائع الأنظمة المشاركة فيه. وهذه الوقائع لا تتضح بحكم الضرورة. ذلك أن نظام الأصوات أو الرموز الكتابية لا ينم عن كل العلاقات التى تربط الأنظمة النصية بعضها ببعض. فالنص يتسم على أعظم تقدير بالترابطات CONNECTIVITIES أى بإتاحة ACCESS للترابط لا تنقطع فيما بين العناصر الواردة من النظم اللغوية المساهمة. ويمكن لمستعملى النص أن يدركوا التماسك على صورة مهوشة FUZZYNESS فيما بين العناصر (قارن: الفصل الثالث ـ ١ ٧) ولكن النص ذاته لا يمنحنا غير الترابطات connectivities وهكذا ينبغى أن يكون ثمة ترابط رصفى SEQUENTIAL CONNECTIVI-TIES تتوقف به عناصر النص السطحى surface text من الناحية النحوية بعضها على بعض (قارن الفصل الثانى)، كما ينبغى للمعنى التحتى underlying meaning أن يشتمل على الترابطات المفهومية CONCEPTUAL CONNEC-TIVITIES مثل علاقات السببية والزمان والمكان (قارن الفصل الثالث). أما الترتيب الداخلى لأعمال الخطابDISCOURSE ACTIONS فى النصوص (قارن: الفصل الثالث ـ ٤ ٢٦) فينبغى أن يكشف عن ترابط الخطط ليكون كل مكون نطقى على صلة RELEVANT بمكون آخر نشط فى خطة الاتصال، مثل النصح والطلب والموافقة أو الإبقاء على رابطة اجتماعية ما (قارن: الفصل السادس ـ ٤؛ والثامن ـ ١). والموقف هو الذى يحددكم من الوقائع الفعلية يلزم لايجاد الارتباط ـ ففى المواقف الشديدة التحديد highly determinate يعمد الناس إلى الاقتصاد بواسطة الحذف أو الاختزال فى وقائع البنية التعبيرية السطحية.

٤ ـ ٥ وليس من الصعب أن نجد الشواهد الدالة على العمليات التنظيمية regulatory بالنسبة إلى النصوص:

٤ ـ ٥ ـ ١ فيمكن الوصول إلى اختزال البنية السطحية فى نصوص بعينها بواسطة الألفاظ الكنائية pro- forms وصور الحذف (قارن الفصل الخامس ـ ٤؛ والفصل الخامس ـ ٦).

٤ ـ ٥ ـ ٢ ـ وتكشف القرارات المتعلقة بتنظيم الأطر بغية الفهم عن استتباع أحكام حول البنية السطحية، والعكس صحيح (قارن: الفصل الثالث ـ ٤ ـ ١٦؛ والفصل السابع ـ ٢ ـ ١٠ وما بعدها).

٤ ـ ٥ ـ ٣ ـ وعند وقوع اللبس أو الاضطراب يمكن للناس أن يقوموا باستعمال مزيد من تضافر القرائن الأخرى للوصول إلى النصية textuality (انظر مثلا: الفصل الثانى ـ ٢ ـ ٣٧؛ والفصل الخامس ـ ٤ ـ ١١).

٤ ـ ٥ ـ ٤ وحين يتم نسيان عناصر النص الحاضر يتكيف النظام النصى المختزن فى الذهن بواسطة الاختزال أو إعادة الترتيب أو إعادة بناء ما تبقى (انظر الفصل السابع ـ ٣).

٤ ـ ٥ ـ ٥ إن التضارب descrepency والتوقف دون الإكمال لا يسببان فى العادة فشلا للاتصال، ولكنهما يستدعيان العمليات التنظيمية من لدن القارىء أو السامع (انظر الفصل الأول ـ ٦ ـ ٩؛ والفصل الرابع ـ ١ ـ ١٢؛ والفصل الثامن ـ ٢ ـ ٤٢ وما بعدها).

٤ ـ ٦ ـ وأهم شىء هو الطبيعة التنظيمية لنظم الاتصال فيما بين الأفراد المشاركين. فمعلومات كل فرد وتجربته فريدة فى ذاتها، ومع ذلك يتواصل الناس فى العادة بدون مصاعب. فإذا أخفق فرد فى استعمال النظم الفرعية للغة كما حددها العرف أصبح من الضرورى بصورة عامة أن تحدث وقائع تصحيحية: كالشرح وتصحيح سوء الفهم واستبعاد القراءات البديلة والإعادة بل الاعتذار أيضا. إن أعمال الناس وأقوالهم لا تحكمها قوانين مطلقة القواعد، غير أنه ينبغى للناس أن يعتدوا بكيفيات تطبيق النظام إذا أرادوا استعماله استعمالا مؤثرا. إن سوء الاستعمال الفردى نادر، لأنه يكشف بالتحديد عن الوقائع التصحيحية التى تفسد كفاءة النص لو أنها تكررت بكثرة.

٤ ـ ٧ ـ ويمكن للكثير من النصوص فيما يظهر أن يبقى وأن يطول استعماله بعد انقضاء الموقف الأصلى الذى قيل فيه. فإذا تعرضت النظم الافتراضية للتغير عبر الزمن أصبح القراء بحاجة الى وسيط ما، كالتدريب المطلوب اليوم على قراءة الانجليزية القديمة أو الوسيطة. أما إذا ظلت الأنظمة الافتراضية ثابتة فان استعمالها لا ينطوى أبدا على مشكلة. والنصوص تهيىء لذاتها مواقفها الذاتية SELF CONTEXTUALIZING، لأن ما يوجده الكتاب والقراء من إجراءات عند تفعيل النص actualization processes يتكيف تبعا للتماسك continuity والتنظيم regulation (قارن: هاليدى وماكنتوش وستريفنز ١٩٦٥: ٢٤٦؛ و ر. اندرسون ١٩٧٧: ٢٤٢). وكلما علت قيمة النص ازدادت فرصة مداومة استعماله، لأن الأحكام والانتقاءات التى كانت عند انتجاحه تتسم بحسن التخطيط وهى سمة الأعمال الخالدة (فينوجراد ١٩٧٧ ـ a: ٦٩). ويتضح من هذا العامل من عوامل البقاء سبب دوام النصوص الأدبية والشعرية أطول مما يدوم غيرها من الأعمال (قارن: الفصل السابع ـ ٢ ـ ٢٧ ومابعدها).

٤ ـ ٨ ـ من المؤكد أن إمكان اختلاف السامعين أو القارئين فى فهم النص الواحد لا يخلو من إشكال؛ تشهد على ذلك المناقشات الحامية حول دور القراء فى النظرية الأدبية (وارنسينج ١٩٧٥). إن ثبات النص يؤخذ من ثبات الأنظمة الافتراضية للاتصال والمبادىء التنظيمية لتفعيل النص، وهذا نوع من الثبات الماورائى meta - stability (ا. د. هيرش، الاتصال الشخصى). ولقد اخطأت المناقشات اللسانية الطريق إلى هذه الاعتبارات بسبب تكثيف العناية بصور اللبس الممكنة، أو بالبدائل التى تسمح بها النظم الافتراضية دون عناية كبيرة بواقع ندرة سوء الفهم لدى حالات التكلم الحقيقية. إن صور الصياغة اللغوية التى تأتى عن هذه المناقشات ترجع الى أن مستعمل اللغة يطفو فى بحر من بدائل الأحكام والتراكيب التى يبدو علاجها معجزا فى أى وقت ذى طول معقول يستغرقه هذا العلاج. وهكذا يقول تشومسكى (١٩٧٥: ٧٧): «إن دراسة الطاقة اللازمة لاستعمال هذه التراكيب والتمرين على هذه الطاقة ماتزال على أى حل تراوغ أفهامنا».

٤ ـ ٩ إن النحو التحويلى فى معظمه نظام افتراضى يسعى إلى تعيين الجمل الممكنة على وجه نهائى دون نظر إلى حدوثها فى الواقع. وليست الأمثلة التى يأتى بها اللسانيون أمثلة فى الواقع إلا إذا أخذت من نصوص أنتجت إنتاجا عفويا من لدن غير اللسانيين. ومع هذا نرى النحو الذى يبحث فى التراكيب غير الواقعية يبدو بناء غريبا من حيث هو علم، كما نرى استكشاف صدقه مشكلة خطيرة (قارن الفصل الأول ـ ١ ـ ١٦ وما بعدها). ومن المؤكد أن تعداد الجمل الممكنة يصبح بعد تنظيم نواة CORE النحو مشكلة أدائية PERFORMANCE PROBLEM (قارن: جريمس ١٩٧٥: ١٩٨٠) وليست مقدرة competence الناس فوق كل ذلك إلا ما لديهم من مجموعة محدودة من مرتكزات Strategies بناء الجمل أو النصوص الممكنة الوقوع وفهمها لكونها ذات معنى وذات نفع فى تحصيل الأشياء.

٤ ـ ١٠ ـ ولم يكن من الغريب أن يطمع اللسانيون أول الأمر فى أن يعالجوا النصوص بزعمها أنظمة افتراضية أو عناصر من أنظمة. ولقد حاول هاريس (١٩٥٢) أن يكشف عن قواعد التوزيع فى النصوص وأن يتقدم بدعوى أن النظامين الافتراضى والفعال متداخلان. وتم تخصيص مشروع استطلاعى تقدم به برتولت بريخت بوحى من النحو التحويلى لإيجاد جهاز من القواعد لتوليد النص أو استخراجه (فانديك وإهوى وبيتوفى ورايدر ١٩٧٢؛ وانظر المناقشة بين إهوى ورايزر ١٩٧٢؛ وكومر ١٩٧٢ - b و C١٩٧٢- لمعرفة النتيجة). ويرى توماس بالمر (١٩٧٥: ٢٥٩) أن النصوص ليست أكثر من تتابعات من الوحدات الصرفية جيدة السبك يمكن علاجها بتوسيع «نحو الجملة» بواسطة وحدات صرفية ترقيمية punctuation morphemes. هذه التجارب ونحوها عرضة لنفس الاعتراضات المبدئية (١) أنها لاتكشف لنا عن نموذج مقبول للنشاط الإنسانى، (٢) وأنها لاتصلح من الناحية العملية لأية مجموعة كبيرة من النصوص التى يعتد بها (٣) وأنها لا تنظر نظرة واقعية إلى قضايا مثل: النصوص الشاذة، والأسلوب الأفضل أو الأسوأ، وإثارة الاهتمام، والإعلامية، والتفاعل الاتصالى.

٤ ـ ١١ ـ وأنا اقترح المعـايير التالية لجـعل النصية TEXTUALITY أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها.

٤ ـ ١١ ـ السبكCOHESION وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقـائع يؤدى السابق منهـا إلى اللاحق pro-gressive occurrance بحيث يتـحقق لها التـرابط الرصفى SEQUENTIAL CONNECTIVITY وبحـيث يمكن اسـتعـادة هذا التـرابط. ووسـائل التضـام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات phrases والتراكيب Clauses والجمل (انظر الفصل الثانى) وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية pro- forms والأدوات والإحالة المشتركة Co - reference والحذف والروابط junctions (انظر الفصل الخامس).

٤-١١ ـ ٢ الالتحام COHERENCE وهو يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لايجاد الـترابط المفهومى CONCEPTUAL CONNECTIV-ITY واسـترجـاعه وتشـتمل وسـائل الالتـحـام على (١) العناصـر المنطقيـة كالسببيـة والعموم والخصوص class inclusion ، (٢) مـعلومـات عـن تنظيم الأحداث والأعـمال والموضوعـات والمواقف، (٣) السعى إلى التـماسك فيـما يتصل بالتـجربة الإنسانيـة، ويتدعم الالتحام بتـفـاعل المعلومات التى يعرضـها النص Text PRESENTED KNOWLEDGE مع المعـرفة السـابقة بالعـالم PRIOR KNOWLEDGE OF THE WORLD (قارن: الفـصل السابع ـ ٣ ـ ٢٩ وما بعدها).

٤ ـ ١١- ٣ ـ القصد INTENTIONALITY: وهو يتضمن موقف منشىء النص من كون صورة ما من صور اللغة قـصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسَّبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها (قـارن: الفصل الرابع ـ ٤). وهناك مدى متغير للتغاضى TOLERANCE فى مـجال القـصد، حـيث يظل القصـد قائمـا من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم

تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التغاضى عامل من عوامل ضبط النظام systemic regulation (الفصل الأول ـ ٤ ـ ٣ والتى بعدها) يتوسط بين المرتكزات strategies اللغوية فى جملتها والمطالب السائدة للموقف.

٤ ـ ١١ ـ ٤ ـ القبول ACCEPTABILITY: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغى لها أن تكون مقبولة من حيث هى نص ذو سبك والتحام. وللقبول أيضا مدى من التغاضى TOLERANCE فى حالات تؤدى فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة فى الغايات بين المستقبل والمنتج (قارن: الفصل الثانى ـ ٢- ٣٧) والتى بعدها).

٤ ـ ١١ ٥ ـ رعاية الموقف SITUATIONALITY: وهى تتضمن العوامل التى تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استزجاعه. ويأتى النص فى صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره (قارن: الفصل السادس ـ ٤ ـ ٢ وما بعدها). وقد لايوجد إلا القليل من الوساطة فى عناصر الموقف كما فى حالة الاتصال بالمواجهة فى شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما فى قراءة نص قديم ذى طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمى الى عالم آخر (مثلا: جلجاميش أو الأوديسا). ان مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفى الاتصال على الأقل، ولكنْ قد لا يدخل هذان الطرفان الى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين.

٤ ـ ١١ ٦ ـ التناص INTERTEXTUALITY: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت فى حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة. فالجواب فى المحادثة (قارن: الفصل الثامن ـ ١) أو أى ملخص يذكِّر بنص ما بعد قراءته مباشرة (قارن: الفصل السابع ـ ٣) يمثلان تكامل النصوص بلا واسطة. وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت فى أزمنة قديمة. وتكامل النصوص عامل أكبر فى مجال تحديا. أنواع النصوص TEXT TYPES (قارن الفصل السابع ـ ١) حيث تتشكل التوقعات بالنسبة لطوائف CLASSES كاملة من الوقائع اللغوية.

٤ ـ ١١ ـ ٧ الإعلامية INFORMATIVITY: وهى العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزمUNCERTAINTY فى الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع فى عالم نصّى textual فى مقابلة البدائل الممكنة. فالاعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلى لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها فى مقابل عدم الوقائع non - occurvences (قارن: الفصل الرابع ـ ١ ـ ٨). وسوف أناقش فى الفصل الرابع بقاء درجة صغرى من الإعلامية فى المحادثة بواسطة تنظيم الدرجات القصوى منها.

٤ ـ ١٢ ـ وليست هذه المعايير جديدة بطبيعة الحال؛ ولكن علاجها حتى هذه اللحظة جاء مفرقا ومدمجا. فلقد تضخم السبك والالتحام مثلا بسبب الخلط فى فهم طبيعة الجملة (قارن: الفصل الأول ـ ٣ ـ ١ وما بعدها) (ولكن قارن: ويدوسون ١٩٧٣). إن مفهومى السبك والالتحام يمكن العثور عليهما فى أعمال مثل: هاليدى (١٩٦٤) وكريمس (١٩٦٨) وهارفيج (١٩٦٨ ـ a) وحسن (١٩٦٨) وباليك (١٩٦٨) وبيليرت (١٩٧٠) وفانديك (١٩٧٢ ـ a)وجريمس (١٩٧٥) وهوبز (١٩٧٦ و ١٩٧٩) وهاليدى وحسن (١٩٧٦) ويولو نيكيل (١٩٧٧) وجوبز (١٩٧٧) ورايخمان (١٩٧٨) وويير (١٩٧٨). وقارن فى شأن القصد: ووندرليخ (١٩٧١) ودريسلر (١٩٧٢ -a) وبروس (١٩٧٥) وفانديك (١٩٧٧ ـ a) وسليزنجر (١٩٧٧) وكوهين (١٩٧٨) وآلن (١٩٧٩).

وستكون هناك كتابات أخرى فى الفصل السادس حول التخطيط والغايات. اما فى شأن القبول فاقرأ كيرك وسفارتفيك (١٩٦٦) وجرينباوم (١٩٧٧). وأما عن رعاية الموقف فإن عمل هاليدى(مثلا ١٩٧٧) وكذلك الانثروبولوجيا الوصفية ethnography للاتصال (مثلا: جومبيرتس وهايمز ١٩٧٢ علي صلة بالموضوع). ومن أجل نظرات عامة إلى التناص قرأ كريستيفا وكيرك (١٩٨٧). أما عن الإعلامية فقليل ما يمكن أن يوجد إلا حول المعرفة المسبقة «given» والجديد «new» في الجمل كما جري عرضها في (الفصل الرابع ـ ٣). ولكن

قارن شانون (١٩٥١) وويلتنر (١٩٦٤) وجريمس (١٩٧٥) وبوجراند (١٩٧٨ ـ b و ١٩٧٩ ـ e). كل هذه المعايير السبعة للقضية نوقشت بالتتابع في عمل بوجراند ودريسلر (١٩٨٠).

٤ ـ ١٣ ومن هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص: (السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير. ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يُفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعا: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراءprocessing . ومرة أخري تظهر الحاجة الشديدة الإلحاح إلي البحث في تكامل العلوم. وهذه المعايير المقررة للقضية تظهر في صورة مبادىء تأسيسية CONSTITUTIVE principles بالمعني الذي قصد إليه سيرل (١٩٦٩ ٠ ٣٣ وما بعدها). أما أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يعدّ نصا فذلك يتوقف علي مراعاة هذه المعايير. وينبغي كذلك أن توجد مبادىء تنظيمية REGULATIVE principles بالمعنى الذي قصد إليه سيرل من أجل تمييز قيمة نموذج ثم الاعتراف له من قبل بأنه نص. وأزعم أن هذه الوظيفة التنظيمية تؤديها معايير التصميم design التي سأقترحها.

٤ ـ ١٤ ففي الوقت الذي يتحتم فيه لجميع النصوص أن تعتمد على المعايير النصية السابقة هناك خلاف في التصميم DESIGN عند إيقاعها. ولهذا ينبغي أن نحدد معايير التصميم DESIGN CRITERIA ونبحثها على نحو سوف يأتي (انظر في شأن هذه المناقشة والإيضاحات: الفصل الثالث ـ ٣ ـ ٥؛ والفصل الرابع ـ ١ ـ ٦؛ والفصل الرابع ـ ٤ ـ ١٢؛ والفصل السابع ـ ٢ ـ ٣٧؛ والفصل الثامن ـ ٢ ـ ١٩). وتأتي كفاءة EFFICIENCY النص من انتفاعه في الاتصال بأفضل نتائج الاقتصاد في الجهد حتى يصل إلى سهولة متزايدة PROGRESSING EASE . وأما تأثير EFFECTIVENESS النص فيتوقف على قوة وقعه عند مستقبليه ، وهي تعزز عمق الإجراء PROGRESSING DEPTH كما يتوقف على المساهمة في الوصول بمنتجه إلى غايته بتأسيس صلة RELEVANCE بين مادة النص وخطوات خطة ما. وتتوقف ملاءمة APPRO-

PRIATENESS النص على التوافق الكمي بين مطالب الموقف الاتصالي ودرجة مراعاة معايير النصية، وهذه المعايير التصميمية في اعتقادي أكثر حيوية بالنسبة لمقدرة "competence" مستعملي اللغة بالنسبة للتفريق الشهير بين ما يعد وما لا يعد من قبيل الجمل، أو التفريق الموازي بين ما يعد وما لا يعد من قبيل النصوص. إن إنتاج ما لا يعد من قبيل النصوص يعرف بالطبع بواسطة الرفض أو عدم القدرة مطلقا على الاتصال (قارن: الفصل الأول ـ ٣ ـ ٤ ـ ٤؛ والفصل الرابع ـ ١ ـ ٢٣ ـ ٢؛ والفصل الخامس ـ ٤ ـ ١٢). وهكذا يكون عدم السبك والالتحام والقصد والإعلامية إلخ ذا ندرة نسبية، ولكن النصوص كثيرا ما تفقد كفاءتها أو تأثيرها أو ملاءمتها. وهكذا ينبغي ألاتقتصر دراستنا علي كيفية بناء التراكيب اللغوية وتحليلها، بل يجب أن تشمل أيضا كيفية تحديد قيمتها.

٥ ـ المقدرة النصية
TEXTUAL COMPETENCE

٥ ـ ١ ـ ينبغي للعلم عند تناول الشواهد manifestations البيانات data من أي نوع أن يفرّق في التناول بين النواحي الجوهرية والمطردة والمرتبطة بالموضوع وبين غير الجوهري والشاذ وما لا يرتبط بالموضوع. فالصوتيات phonology مثلا تدرس نظم الأصوات مع إطراح عوامل معينة مثل قيمة الصوت وسن المتكلم وشخصيته، وإلا فانه لا يمكن لنمطيْ صوتين من نطق واحد أن يتطابقا تماما. ولقد استبعد تشومسكي عند إنشاء نظريته النحوية عوامل بعينها مثل محدودية الذاكرة، والعدول عن خطة الكلام أثناء التكلم، كما تجاهل الأخطاء.

٥ ـ ٢ ـ ولقد تعرض التفريق في نطاق نحو الجملة بين المقدرة competence والأداء performance لنقد متزايد في السنوات الأخيرة. وكان حكم والتركينتش (١٩٧٤ : ٣) علي هذا التفريق أنه: «مجرد عذر للّساني وعالم النفس كليهما يبرر إهمال كل منهما لنتائج الآخر». ويطّرح فيرنر كومر (١٩٧٥ : ١٦٣) هذا التفريق لكونه «مرتبطا ارتباطا لا ينفك بنموذج لغوي عاجز عن أن يدخل في أية نظرية تتناول جانب العمل action». ولكن بعض الباحثين يُبْقُون على هذا التفريق على حين يَدْعون إلى تكيُّف جديد فيما يتصل بالمقدرة الاتصالية COM-MUNICATIVE COMPETENCE (فوندرليخ ١٩٧١؛ وهيرماس ١٩٧١؛ وهايمز ١٩٧٢؛ وشميدت ١٩٧٣).

٥ ـ ٣ ـ وأنا أيضا أرى أن هذا التفريق ذو قيمة ما دام الاستغناء عنه مستحيلا:

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ فسواء كانت نظرتنا متجهة إلى الخصائص العضوية لتيار الكلام أم إلي المجموع الهائل للمواقف الاتصالية، لابد أن نقرّ بأن العناصر التي نراها متساوية من حيث وظائفها النظامية هي مختلفة على السطح اختلافات هيِّنة ولكنها يمكن اكتشافها. وإذا كان للناس أن يقوموا بأي نوع من الاتصال فإن

عليهم أن يوزعوا انتباههم ووسائلهم توزيعا انتقائيا من أجل الوصول إلى النواحي ذات الارتباط بذلك على حين يتغاضون عن بقية النواحي. ولا شك أن للساني الحق في أن يقلد هذا الانتقاء الذي لا يمكن بدونه إخضاع اللغة للتعرف والتعميم والوصف والأمور الأخرى التي أحصيناها في (الفصل الأول ـ ١ ـ ٨).

٥ ـ ٣ ـ ٢ ـ وينبغي لنا عند إرادة التناول المناسب لشواهد النصوص في لغة ما أن نخصص مجموعة محدودة نوعا ما من المرتكزات strategies والإجراءات التي تنطبق علي شواهد لغوية شديدة التشعب. ولابد أن تشتمل المقدرة -com petence على هذه الطاقات المشتركة ولو أن بعض التجليات ربما عوقها عامل الوقت أو الوسائل أو الانتباه أو التجربة من لدن المستعمل الفرد للغة.

٥ ـ ٣ ـ ٣ ـ وكثيرا ما تكون الأنشطة اللغوية إبداعية CREATIVE، وكثير من النصوص يحقّق الإعلامية بتعديلات يدخلها المتكلم على التنظيم الطبيعي أو المتوقع للنصوص (قارن: بوجراند e١٩٧٩). فإذا اتجهنا لإخضاع كل شاهد إبداعي لإطار الإجراءات التقليدية نفسها فإننا سنسيء تفسير الكثير من القضايا. عندئذ سيكون النحو الذي يمكن أن ينتج كل الصور الإبداعية في النهاية من القوة power بحيث ينتج كل تركيب يمكن تصوره حتى يصل في النهاية إلى انعدام النظام، ثم إلى عدم القدرة على تفسير أي شيء على الإطلاق(١٥).

٥ ـ ٤ ـ ومن الممكن أن أصل إلى نتيجة مفادها أن الشواهد اللغوية تنم عن المقدرة competence ولكنها بحاجة إلى أن تشتمل عليها (قارن: الفصل الأول ـ ٤ ـ ١٤). ومن ثم يجب التفريق بين المقدرة والأداء على نحو ما نفرق بين المرتكزات STRATEGIES (أي الإجراءات التطبيقية التي تصلح للاستعمال دائما) والتطبيقات APPLICATIONS (أي الأحداث المفصّلة التي تحدث في المواقف الاتصالية ومنها التشويش أو الفشل). وينبغي لنا أن نكتشف الآثار التي تقع عندما تفشل الوسائل؛ فالأخطاء في الكلام مثلا تصلح قرائن قيّمة

(١٥) إذا انعدم التنظيم من نظام ما لم يمكن توقع أية واقعة لغويةولا أي اطراد.

لـلدلالة على العمليـات العقليـة (قارن: فـرومكين ١٩٧٣؛ وجودمان وبـيرك ١٩٧٣؛ والأمثلة الواردة في الفصل السابع ـ ٣ ـ ١٤ ومـا بعدها). غير أنه قد يبدو من الـغريب أن نخلط بين المقـدرة والأداء بافتراض مـرتكزات strategies خاصة لإنتاج الأخطاء وحالات الفشل.

٥ ـ ٥ ـ ولست أحـدد المقـدرة بأنهـا اسـتطاعـة التمـيـيـز فـقط بين النص واللانص[١٦]. ويلجـأ الناس إلى التعـويض default باحتسـاب الأمثلة اللغوية نصـوصا. غـير أن مـفـهوم المقـدرة النصيـة TEXTUAL COMPETENCE (فانديك ١٩٧٢a: ٢٠٤) قد تدعو الحـاجة إليه ليتـضمن المجموعة الـتالية من المعرفة KNOWLEDGE والإجراءات PROCEDURES:

٥ ـ ٥ ـ ١ ـ معرفة رصيد البدائل options في النظم الافتراضية.

٥ ـ ٥ ـ ٢ ـ معرفة قيود CONSTRAINTS النظام الخاصة بانتقاء البدائل أو تلافيها.

٥ ـ ٥ ـ ٣ ـ معـرفة المعتقـدات والمعلومات KNOWLEDGE BELIEFS والإرهاصات EXPECTATIONS الشائعة في المجموعـة الاتصالية أو المجتمع عن العالم الحقيقي»[١٧] «real world

٥ ـ ٥ ـ ٤ ـ معرفة أنواع النصوص TEXT TYPES.

٥ ـ ٥ ـ ٥ ـ إجراءات استخدام UTILIZING النظم الافتراضية عند تفعيلها ACTUALIZATION.

٥ ـ ٥ ـ ٦ ـ إجراءات إنتاج PRODUCING النصوص.

٥ ـ ٥ ـ ٧ ـ إجراءات استقبال RECEIVING النصوص.

٥ ـ ٥ ـ ٨ ـ إجراءات المحافظة على النصية TEXTUALITY

---

(١٦) وكـما أشار شانك وويلنـسكي (١٩٧٧: ١٤٢) ليس التفريق بين النحوي وغير النحوي تفـريقا واقعيا لأن الناس لا يسعون إلي محاولة التفريق بين الإنجليزية والرطانة

(١٧) أنظر إلى «العالم الحـقيقي» ليس بكونه مـجموعة من الأشـياء التي لا يمكن صحـة وجودها، بل بكونه بالأحرى نموذجا مقبولا من الناحية الاجتماعية مكونا من الأشياء الموجودة أيا كانت.

٥ ـ ٥ ـ ٩ ـ إجراءات تنظيم الإعلامية INFORMATIVITY.

٥ ـ ٥ ـ ١٠ ـ إجراءات استكمال معايير التصميم DESIGN CRITERIA (وهي الكفاءة والتأثير والملاءمة).

٥ ـ ٥ ـ ١١ ـ إجراءات إعادة استعمال المعلومات التي اشتمل عليها النص باستخراجها من المخزون الذهني في أعمال مثل التذكر RECALLING والإخبار REPORTING والتلخيص SUMMARIZING والتقويم EVALUATING.

٥ ـ ٥ ـ ١٢ ـ إجراءات المراقبة MONITORING والتصرف في المواقف MANAGING SITUATIONS باستعمال النصوص.

٥ ـ ٥ ـ ١٣ ـ إجراءات بناء الخطط PLANS وإيجادها ومراجعتها للوصول إلى أغراض GOALS.

٥ ـ ٥ ـ ١٤ ـ إجراءات إرهاص PREDICTING أنشطة الأطراف الأخرى في الاتصال وتنظيم REGULATING أعمال الخطاب من لدن المتكلم طبقا لذلك.

٥ ـ ٥ ـ ١٥ ـ إجراءات استبقاء الاتصال على رغم التضاربات DESCREPANCIES والمقاطعات DISCONTENUITIES وحالات اللبس AMBEGUITIES وما لا يتوقع NON-EXPECTED من الوقائع.

٥ ـ ٦ ـ وأنا أزعم أن الذكاء INTELLIGENCE يمكن أن يعرّف بأنه: هو التمييز بين هذه القدرات والصياغات وبين أي مهمة خاصة بين أيدينا. إنه هو الطاقة على العمل على مستوى أعلى، وهو التعرف على أي عمل وأداؤه بوصفه إنجازا من نوع الأعمال المعتادة، والنظر إلى أي مادة حاضرة بوصفها من نوع المواد العادية. ولهذا أسوق القول إن وظائف الاتصالات النصية العليا وهي: النحو، والمعنى، والمعلومات، والتخطيط إنما تصاغ من حيث هي نوعيات عليا من الوقائع والعلاقات (قارن: الفصل الثاني ـ ٢ ـ ١٥ وما بعدها؛ والفصل الثالث ـ ٤ ـ ٣ ـ وما بعدها؛ والفصل الرابع ـ ١ ـ ٦ وما

بعدها؛ والفصل الرابع ـ ٣ ـ ١٧ وما بعدها؛ والفصل الخامس ـ ١ـ ٤ وما بعدها؛ والفصل السادس ـ ١ ـ ١ وما بعدها؛ والفصل السادس ـ ٤ ـ١٤ وما بعدها؛ والفصل السابع ـ ١ ـ ٧؛ والفصل السابع ـ ٢ ـ ٨ وما بعدها؛ والفصل السابع ـ ٣ ـ ١٥ وما بعدها؛ والفصل السابع ـ ٣ ـ ٢٩ وما بعدها؛ والفصل الثامن ـ ٢ ـ ٨ وما بعدها؛ والفصل الثامن ـ ٢ ـ ٢١ وما بعدها؛ والفصل التاسع ـ ١ ـ ٤ وما بعدها). وقد يكون إخفاق اللسانيين المستمر في حل القضايا الرئيسية للاتصال اللغوي أو شرحها راجعا إلى توخى نظرة ذات مستوى هابط (كتحليل معاني الكلمات المفردة، أو الصور السطحية المعينة لجمل محددة وهكذا) (قارن: الفصل التاسع ـ ٨).

obeikandl.com

٦ ـ النص بوصفه بناءً لنموذج

TEXT UTILIZATION AS MODEL BUILDING

٦ ـ ١ ـ يمكن أن نعثر على النشاط المبذول في إنتاج النص وفهمه تحت عنوان «بناء النموذج» MODEL BUILDING وذلك أن يعدّ طرفا الاتصال شريكين في بناء نموذج «عالم النص» BUILDING A TEXT-WORLD MODEL (قارن: مفهوم world أو modelعند بيتوفي ورايزر ١٩٧٤؛ وبيتوفي ١٩٧٥ a؛ وشانك وآل ١٩٧٥؛ وكولين وبراون ولاركين ١٩٧٧؛وفالمان ١٩٧٧، وجولدمان وبليرزر ووايل ١٩٧٧، ورايخان ١٩٧٨، وروبين ١٩٧٨ وويبر١٩٧٨؛ وبيتوفي ١٩٧٩). فالعالم النصي TEXTUAL WORLD هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النص،وهو بهذه المثابة لا يوجد إلا في أذهان مستعملي اللغة. ومن ثم ينبغي لنا أن نتناول المسألة من خلال نماذج عوالم النص من حيث هي مكونة من مفاهيم CON-CEPTS وعلاقات RELATIONS في مساحة معلومية KNOWLEDGE SPACE (قارن: الفصل الثالث). ويعد نموذج عالم النص فرعا على مساحة الموقف SITUATION SPACE (قارن: كلارك وكلارك ١٩٧٧: ٧٢؛ وجروتز ١٩٧٧: ٦). كما أن مساحة الموقف تأتي متلاحمة مع الخطط والغايات GOALS التي لدى طرفي الاتصال . (وبهذا تعدّ الغاية نموذجا لموقف مستقبلي مطلوب (قارن: الفصل السادس ـ٤ ـ٤). ويمكن للمتكلم أن يتصور نموذجا لموقف مستقبلي النصر ومعلوماتهم (قارن: برس ١٩٧٥ وجولدمان ١٩٧٥: ٣٤٦؛ وبرونشتاين وبايك ١٩٧٧: ٣؛ وفينوجراد ١٩٩٧ a: ٦٩؛وكوهين ١٩٧٨: ١٦؛ وماكلاّ ١٩٧٨a : ١٩؛ وكاربونيل ـ الأصغر ١٩٧٨b: ١٣٦؛ وألين ١٩٧٩: ٦). ويمكن أن نستمر بافتراض النموذج الذي يتصوره السامعون لنموذج المنشيء الذي تصوره لهم، ونموذج هذا الأخير لنموذجهم وهلم جرا (انظر: كلارك ومارشال ١٩٧٨). غير أنه يحتمل أن يكون ثمة حد نهائي THRESHOLD OF TERMINATION لا يهتم الناس عنده في الاتصال بأن يتخطوا كل هذه النماذج التي في داخل النماذج.

٦ ـ ٢ ـ لقد وضع يانوس س. بيتوفي وشركاؤه في البحث مدخلا موحدا عنوانه: « بناء النص ونظرية بناء عالم» TEXT STRUCTURE/WORLD STRUCTURE THEORY (بيتوفي ١٩٧٥ a، و ١٩٧٥ b، و١٩٧٨ a و ١٩٧٨b و١٩٧٩؛ وبياتشي وفريش ١٩٧٨). والغرض الأساسي في هذه النظرية أن هناك تطابقات مطردة بين بنية النص وبنية العالم الذي يبنيه هذا النص. ويلاحظ بيتوفي (١٩٧٨ a : ٤٤ والتي بعدها) أن هناك نظريتين عامتين نحو تطور هذه النظرية الموحدة. إذ يقول: «يمكن للمرء إما أن يبدأ من نظام فعال (مع محدوديته ولكن أيضًا مع وضوح معلوماته) ويحاول أن يعدِّل له إلى الحد الذي يتطلبه موضوع البحث، وإما أن يبدأ بما يتطلبه وصف الموضوع ثم يحاول اختراع نظام تبعا لذلك». ولقد قدم بيتوفي عمله بالبدء من نقطة النظام الحاضر للمنطق الصوري، ولكنه أدرك الحاجة إلي إجراء تعديلات جوهرية، منها مثلا أن نُظُم القواعد في أشكال النحو المنطقية المستعملة إلى الآن لا تناسب وصف اللغات الطبيعية؛ لأن القواعد المنطقية المخصصة لأغراض استعمال اللغات الطبيعية لاتصلح إلا لتمثيل جزء من المعلومات النحوية التي توجد في استعمال هذه اللغات الطبيعية (بيتوفي ١٩٧٨ a: ٤٠). وآخر صورة تصورها (بيتوفي ١٩٧٩) تشتمل على شبكة مفصلة من المكونات مثل: المعجم ولغة التقعيد واللغة الطبيعية والوصف والتفسير والصوغ والتركيب والتحويل[١٨] والتمثيل. ويجرى تطويع لغة التقعيد بواسطة توسيع مجال الموضوع، ومع ذلك تبقي هي صالحة لأن تُتَرْجَمَ إلى حساب احتمالات predi-cate calculus من الدرجة الأولى. ويتم تناول وظيفة بناء النماذج بواسطة شرح المكونات. إن محاولة بيتوفي لتناول أصوات اللغة بالإدراك والشرح لهي سمة feature غير عادية لا توجد فى أيّة صورة من صور المنطق العرفي للغات الطبيعية.

(١٨) إن التحويلات كما يراها بيتوفي تختلف عما يوجد في النحو المعتاد للجمل، لأنها تحوّل تراكيب إلى تراكيب من نُظُم مختلفة في نوعها.

٦ ـ ٣ ـ وهناك مسألة صعبة تتصل بطبيعة مفهوم لفظ «عالم» WORLD وهو مجموع المادة المتاحة في موقف ما. ففي عرف كارناب وكريبك يوصف العالم المنطقي LOGICAL WORLD بأنه ذرى ATOMISTIC (كريسويل ١٩٧٣ : ٣٨؛ قارن: هوجس وكريسويل ١٩٦٨). ويأتي الطابع الذري من تميّز DISCRETENESS الأشياء والوظائف بوصف ذلك مطلبا للأشكال والبراهين المنطقية. ومن هنا يبدو المحتوي مقولبا MODULAR غير ذي حساسية للتعدد في أنواع المواقف. ولقد أخبرني ماكس كريسويل (في محادثة شخصية) أنه تجري محاولات للتغلب على الطابع الذري بوضع العوالم المنطقية معا في صورة كم متصل CONTINUUM (انظر أيضًا آيكمير ورايزر ١٩٧٨). إن العمل في دراسة المجموعات المهوشة الذي قام به لطفي زاده وآخرون يؤدي إلى إنشاء حدود احتمالية غير متميزة بين كيانات المعنى. هذا التقدم المهم لا يضمن بذاته كيفية الصياغات الإنسانية لاستعمال المعلومات والصورة التي يجب أن تنشأ في المستقبل.

٦ ـ ٤ ـ ومن الواضح أن العالم النصي TEXTUAL WORLD ذو قدرة عظيمة على التماسك CONTINUITY، فالمسافات بين المفاهيم والعلاقات التي يعرضها النص يمكن ملؤهاواثراؤها بمدى واسع من معلومات الفطرة السليمة COMMONSENSE KNOWLEDGE حول كيفية تنظيم الأحداث والأعمال والأشياء والمواقف. ويجب أن نذكر هنا ثلاثة عوامل: فيحدث التنشيط الموسع SPREADING ACTIVATION عندما تتصل المادة التي يثيرها النص بالمادة المعهودة من قبل وتلك المتعلقة بها في أذهان مستعملي النص (مثلا: لتصور منظر ذي تفصيلات قليلة مذكورة في النص) (قارن: الفصل الثالث ـ ٣ ـ ٢٤). ويحدث الاستدلال INFERENCING عند ملاحظة الفجوات GAPS بين نقاط في مساحة المعلومات (مثلا: لكشف جريمة في قصة بوليسية) (قارن: رايجر ١٩٧٤ ، و ١٩٧٥، و ١٩٧٦؛ وكلارك ١٩٧٧؛ وكولينز وبراون ولاركين ١٩٧٧؛ ووارين ونيكولاس وترباسو ١٩٧٩؛ وقارن: الفصل الثالث ـ ٤ ـ ٢٩ وما بعدها). أما التحديث UPDATING

فيغير العالم النصي من حيث ما يعدّ منه صادقا في أي لحظة عندما يتغير الموقف بمجرى الأحداث (قارن: ساسيردوتي ١٩٧٧ : ١٥ ؛ووينستون ١٩٧٧ : ٣٨٦). إن النص الذي تطبق عليه هذه العمليات الثلاث قد يتنوع بين الأفراد الذين يستعملون اللغة، وسوف يُظهر الاختبار العملي في اعتقادي نقطة نهائية THRESHOLD OF TERMINATION يبلغ التماسك عندها حد الكفاية، فتتوقف هذه العمليات. وهذه العمليات على أي حال تجعل من غير الضروري لمنشيء النص أن يصرح بوضوح بكل ما هو مطلوب من أجل الالتحام coher- ence .

٦ ـ ٥ ـ وثمة طريقتا تناول مشهورتان لبناء النموذج تتفقان مع الطريقتين اللتين وردتا في اقتباس بيتوفي (في الفصل الأول ـ ٦ ـ ٢). فالتناول الاستقرائي INDUCTIVE يكون بالاستجابة للملاحظة والتجربة ليصل منهما إلى التعميم، أما التنازل الاستنباطي DEDUCTIVE فيستنتج فرضا مبدئيا لما يجب أن يكون عليه مجال ما. وينطبق هذا التمييز على بناء نماذج لعالم النص أيضًا، وبخاصة من وجهة نظر السامع أو القارىء. إن الناس يلاحظون ويصنفون الأمثلة الواردة بوصفها دخلا طارئا BOTTOM-UP ، ومن جهة أخرى ينشئون افتراضات باستمرار ثم يختبرونها بالنظر لما سيحدث أو يقال، ويطبقون بذلك دخلا مختزنا TOP-DOWN (للمقابلة بين bottom-up و top-down انظر د. بورو وبراون وبراون ١٩٧٥ ؛ وبورو ونورمان ١٩٧٥ ؛ وبراون وبيرتون ١٩٧٥ ؛ وكولينز وبراون ولاركين ١٩٧٧). وبحسب هذه النظرية تصبح عملية الفهم هي توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المختزنة (كينتش ١٩٧٤ : ١١ ؛قارن: أوسوبيل ١٩٦٣ عن التضمن subsumption).

٦ ـ ٦ ـ وعند إرادة الحكم علي اختيار ما ينبغي توظيفه من المعارف يجري عمل التنمية المعرفية بواسطة قياس الأنماط PATTERN MATCHING (قارن: كولبي وباركنسون ١٩٧٤، ود. بورو ١٩٧٥ ؛ ورايجر ١٩٧٥ و ١٩٧٦ ؛ وروميلهارت ١٩٧٥و ١٩٧٧ a ؛وكويبرز ١٩٧٥، وج. أندرسون١٩٧٦، وكينتس ١٩٧٧a، روينستون ١٩٧٧ وبورو وفينوجراد ١٩٧٧ ؛ وهايز ١٩٧٧ ؛ وهافينز ١٩٧٨). وليس من المطلوب في القياس أن يكون محكما، ولكن

المطلوب أن يكون بين طرفيه مناسبة معقولة فقط (قارن: رايجر ١٩٧٥: ٢٧٧؛ ودودز ١٩٧٨a : ٧٦). للوصول إلى الكفاءة ينبغي أن نقارن أكبر نمط ممكن وبهذا نعالج أعظم كمية من الدخل في وقت معا (رايجر ١٩٧٥: ١٥٧).

٦ ـ ٧ ـ وخير الوسائل لتمثيل إجراءات بناء النموذج وقياس الأنماط في الاتصال بواسطة النص في نظري هو الحل العام للإشكال GENERAL PROBLEM SOLVING (قارن: نويل وسايمون ١٩٧٢؛ ووينستون ١٩٧٧)[٢٠]. ويمكن تعريف «الإشكال»* بأنه حالة يتسم الانتقال منها إلى التي تليها بشيء من احتمال الفشل FAILURE. ويمتنع الانتقال عندما تكون هذه الحالة أو التي تليها متسمة بالخطأ. والمتصدي لحل الإشكال PROBLEM SOLVER يعد مخطِّطا PLANNER ينبغي له أن يفتش SEARCH عن مساحة الإشكال PROBLEM SPACED من أجل وصل هذه الحالة بالحالة المقصود أن تتلوها. فإذا كانت احتمالات الفشل FAILURE أعلى من احتمالات النجاح SUCCESS فتلك مشكلة خطيرة SERIOUS PROBLEM، وإذا لم يستطع المخطِّط أن يتقدم مطلقا فتلك عقبة A BLOCK ، وهنا يكون من الضروري الرجوع عن الطريق الذي كان متبعا إلى نقطة يمكن عندها أن يتم تقدم جديد. ويعتمد حل الإشكالات في الأساس كما نستطيع أن نرى على طرق التفتيش SEARCH التي ينبغي أن نذكر ثلاثة من أنواعها على الأقل (قارن: لينات ١٩٧٧: ١٠٩٩ والتي بعدها؛ ووينستون ١٩٧٧: ٩٠ وما بعدها و ١٣٠ وما بعدها).

---

(٢٠) استعمل مصطلح general للإشارة إلى أن أول برنامج كتبه ألن نويل وهربرت سايمون وكليف شو في سنة ١٩٥٧ كان مقسما إلى جزء من النظام مستقل عن الأداء a task-independent part of the system يشتمل على آليات الحل العام، وجزء من النظام يشتمل على معرفة ما يحيط بظروف الأداء task envivonment (نويل وسايمون ١٩٤٢: ٤١٤؛ قارن: الفصل التاسع ـ ١ ـ ٧). ويختلف استعمالي لمصطلح general problem solving إلى حد ما عما تصوره هذان الباحثان، وإن كان ذلك فيما أرجو ينسجم مع نظريتهما العامة.

* علامات التنصيص من عند المترجم لبيان أن «الإشكال» هو موضوع الكلام

٦ ـ ٧ ـ ١ ـ ففي تحليل الوسائل والغايات MEANS-END ANALYSIS يركزّ الباحث عن الحل على الخلافات الكبرى بين النقطة الأولى أو حالة الاستهلال أي البدء INITIAL STATE والنقطة النهائية أو حالة الغرض GOAL STATE . وتتجه كل العمليات إلى اختصار الخلافات بين هاتين الحالتين. ويشبه تحليل الوسائل والغايات أثناء التقدم في إجرائه بحث البدء بالعمق depth-First search بصورته الموضحة بعد قليل (وينستون ١٩٧٧ : ١٣٣). غير أن الكفاءة تزداد إلى مدى كبير إذا تم تحليل الوسائل والغايات من الاتجاهين: الأمام والخلف، مع الاعتماد على السمات المميزة للحيلولة دون تكرار سلوك الطرق التي سلكت من قبل (وودز ١٩٧٨ b: ١٩ والتي بعدها).

٦ ـ ٧ ـ ٢ ـ في بحث البدء بالاتساع breadth-first search ينظر الباحث إلى الأمام منذ الحالة الاستهلالية سعيا إلى الغرض الفرعى القريب proximate sub-goal فقط ، ثم يعمل على فرز جملة الطرق الموصلة إلى هذا الغرض الفرعي، ثم عند الوصول إلى هذا الغرض الفرعي تطبّق الإجراءات نفسها للوصول إلى الغرض الفرعي التالي. ومع أن بحث البدء بالاتساع يتسم بالحذر والقرب من الثبات نراه يتطلب الكثير من الوقت ووسائل البحث، وقد يكون عديم الكفاءة في حل ما هو واضح بالحدس.

٦ ـ ٧ ـ ٣ ـ ويحاول الباحث في البدء بالعُمق depth-first search أن يسرع على طول المسافة إلى الغرض مع تتابع فريد للطرق المؤدية إليه، وما دام الأمل قائما للوصول إلى الغرض فإن جملة الطرق التبادلية لا يتم استكشافها في نقط متوسطة منها. فإذا عرضت عقبة فإن المخطِّط يعود خطوة إلى الوراء ثم يندفع مرة أخرى إلى الأمام. ويتسم بحث البدء بالعمق بالمخاطرة، ولكنه مطلوب عند ضيق الوقت أو قلة الطاقة بالنسبة للبحث. وهو بحث كفء عندما يكون الحل واضحا بالحدس.

٦ ـ ٨ ـ وتظهر أهمية حل الإشكالات في استعمال النصوص في ضوء الدور المركزي للترابط CONNECTIVITY بين الوقائع النصية (قارن. الفصل الأول ـ ٤ ـ ٤) ولذا كان من الضرورى لمن يتواصلون من خلال النصوص أن يصوغوا هذه الوقائع مع وصلها بالوقائع الأخرى، وإلافهذا الترابط فى

الغالب يصعب التعرف عليه(قارن: الفصل الأول-٤-٤) وهكذا نرى كل علاقة يصعب التعرف عليها بين الوقائع تمثل إشكالا بالمعنى الذي وضحناه في الفصل الأول ـ ٦ ـ ٧ وتمثل الوقائع النصية المستبعدة الحدوث وغير المعتادة إشكالا خطيرا (قارن: الفصل الرابع ـ ١ ـ ١٢). إن الانهيار التام لعملية الاتصال بسبب عدم الالتحام incoherence مثلا يمكن أن يكون عقبة block . وأزعم أن حل الإشكالات هو نفسه العامل الذي يجعل عمليات التفعيل actualization تفترق عن المبادىء التي تحكم النظم الافتراضية للغة (قارن: الفصل الأول - ٤ ـ ١ وما بعدها). فلو كانت النظم الافتراضية تقوم على التقابلات opposition (كما قال ديسوسير) أو قواعد البناء structural rules (كما قال تشومسكي) لكانت الإشكالات غير محتملة الظهور. أما التفعيل actualization في المقابل فإنه يتطلب من يستعملون اللغة ليفرضوا الترابط دائما بواسطة بناء التراكيب ذات الطابع المتنوع والمختلفة من خلال الارتجال. والمثال الذي يوضح هذا التقابل هو الفرق بين النظام الافتراضي المكوّن من تصورات في معجم ما a LEXICON وفي عمليات تطبيق الاستدلال INFERENCING المذكورة في الفصل الأول ـ ٦ ـ ٤.

٦ ـ ٩ ـ ومما لا يزال موضع نقاش مسألة الطريقة التي يستعملها الناس في الاستدلال، ومتى يكون الاستدلال، ويتعرف راستي بورو وجون سيلي براون (١٩٧٥) على مجموعتين من الاستدلالات هي استدلالات إضافية «if-added» واستدلالات احتياجية «if-needed» فتقع الاستدلالات الإضافية كلما جدت معلومة على عالم النموذج. وهذه المادة الجديدة تتطلب علاقة مقنعة على الأقل لربطها عند النقط المناسبة. فلربما عمد مستقبل النص مثلا إلى أن يقوم بالاستدلال على أسباب مقبولة لما قام به فاعل حدث وارد في النص من أجل فهم هذا الحدث (قارن: ماك درموت ١٩٧٤؛ ورايجر ١٩٧٤ و ١٩٧٥). وأما الاستدلالات الاحتياجية فلا تطرأ حتى تأتي المناسبة بسبب واقعة لاحقة. فنحن على سبيل المثال قد نستدل من أعمال شخص ما في جريمة غامضة على أنه في الحقيقة هو مفتش الشرطة وأنه في حالة استخفاء، وذلك بواسطة تذكر الأعمال السابقة للمفتش (وتلك هي الحركات المفضلة في قصص كونان

دويل). ولا شك في أن شارنياك (١٩٧٦) على صواب في دعوى أن الاستدلالات التي تحدث بمناسبة إشكال ما «problem occasioned» تحدث عند ملاحظة هذا الإشكال. ومن أمثلة ذلك الانقطاع DISCONTINUITY عند عدم التعليق، وكذلك الفجوة GAP التي تحدث عندما يشتمل التعليق على شقب slot لا يتضمن أى محتوى، وكذلك التضارب DISCREPANCY الذي يقع عندما لا تنسجم المعلومات التي قررها النص مع عالم المعرفة المختزنة (قارن: الفصل الرابع ـ ١ ـ ١٢). إن فكرة كلارك وهافيلاند (١٩٧٤) عن استدلالات العبور يمكن تفسيرها أيضا بحل الإشكالات. فمن الواضح أن مسألة الاستدلال حيوية بالنسبة لمحاكاة الحاسب الآلي لعمليات الفهم الإنسانى، أي كيف يمكن أن يتم إعداد البرامج لمدخل جديد دون اللجوء إلى إحداث كمية متفجرة من الاستدلالات (قارن: ويلنسكي ١٩٧٨: ٦ وما بعدها)؟ والمسألة مهمة جدا كذلك بالنسبة لنظريات الإدراك الإنساني في علم النفس (قارن: سبايرو ١٩٧٧).

٦ ـ ١٠ ـ يتألف نموذج عالم النص من مضامين قضايا PROPOSITIONS، أي من الهيئات التي يعتقد بعض الباحثين أن كل المعلومات تختزن وتستعمل فيها (قارن: ج. أندرسون وباور ١٩٧٣؛ وكينتش وكينان ١٩٧٣؛ وكينتش ١٩٧٤؛ وميير ١٩٧٥ و ١٩٧٦؛ وفريد ريكسون ١٩٧٥ و ١٩٧٧؛ وأندرسون ١٩٧٦؛ وفانديك ١٩٧٧a؛وسيموتز ١٩٧٨). ونستطيع دون إصرار على الضبط المنطقي أن نعرّف مضمون القضية بأنه علاقة قائمة بين تصوّرين (مثلا في قولنا: «السماء زرقاء» تقوم علاقة الوصفية «attribute-of» بين المفهومين اللذين استدعاهما لفظا «السماء» و«زرقاء»). إن ترابط العالم النصي يتطلب أن تكون ثمة علاقة واحدة على الأقل تربط كل مفهوم إلى المساحة الكلية للمعلومة.

٦ ـ ١١ ـ وهذه النظرة موازية إلى حد ما لصور من التناول أقدم منها. فالمفهوم التقليدي للجملة بوصفها تعبيرًا عن «فكرة كاملة» (الفصل الأول ـ ٣ ـ ١) يصلح مثالا لذلك. وتعدّ قيود التوارد المسلطة على المقررات المعجمية في النحو التحويلي علاجا جزئيا لهذه النظرة. وفي علم الدلالة التوليدية تنشأ

الجملة كما هو واضح من بنية أساسية «base-structure» لمضامين القضايا. ومع ذلك لم يكن علم الدلالة التوليدية كافيا (فانديك ١٩٧٢ : ٣٦) لأنه نظر إلى حدود الجملة كما لو كانت جزءاً لا يتجزأ من نظام تكوينات المعنى التحتي underlying meaning.

٦ ـ ١٢ ـ ومما هو أولى بالقبول أن المعنى التحتي منظم تماما في صورة مفاهيم وعلاقات يمكن أن تخطط be MAPPED في صورة جمل (أو تراكيب من أي نوع) بطرق مختلفة. إن نظرية التكافل بين المفاهيم Conceptual dependency التي قال بها روجر شانك (١٩٧٢) وهايز (١٩٧٣) ثم شانك وآل (١٩٧٥) وشانك وآبيلسون (١٩٧٧) تستعمل أمثلة افتراضية لا ترتبط بواقعها باللغة. وحين يبني الناس نماذج لعوالم النصوص يستندون إلى التكافلات النحوية والتكافلات المفهومية على التوازي in PARALLEL (قارن: مارسلين ـ ويلسون ١٩٧٥؛ وبيرتون ١٩٧٦؛ وودز c١٩٧٨). والتفاعل بين نوعي التكافل غير ذي تقابل محكم is ASSYMETRICAL على أي حال. فهو لا يتسم بعلاقة (واحد إلى واحد) بين المجالين (قارن: لو نجُيْكر ١٩٧٦ : ١٢؛ وجولدمان بولزوابل ١٩٧٧ :١٧؛ وهايز ١٩٧٧ : ١٦٦). فمجموع الوسائل النحوية للغة كالإنجليزية أقل كثيراً من مجموع المفاهيم، ومع ذلك لابد أن تكون هناك حالات تفضيلات PREFERENCES تقرر أن تكافلا نحويا ما يحتمل أن يكون أكثر انطباقا على مجموعة قليلة من التكافلات المفهومية دون غيرها، وبالعكس (قارن: الفصل الثالث ـ ٤ ـ ١٦ وما بعدها). إن استعمال التفضيلات يعد ناحية رئيسية أخرى من ضوابط السيرنطيقا تجعل التطبيق يُوصف بالكفاءة (قارن: الفصل الأول ـ ٤ ـ ٥ ـ ٢)[٢١].

٦ ـ ١٣ ـ ويبدو نموذج عالم النص بصورة مختلفة إلى حد ما من مستعمل للغة إلى مستعمل آخر. ويعود ذلك إلى تعميم التنشيط والاستدلال والتحديث وعدم التقابل المحكم. غير أنني لا أوافق على أن النموذج يستعصى على

(٢١) إن استعمالي لمفهوم المفاضلات preferences أعم إلى حد ما من المعنى الذي استعمله ويلكس. ولو أنني في الأصل استوحيت مما قاله.

المعرفة لهذا السبب (تيريز وجرين ١٩٧٧ : ٤)، أو على أن هناك عددا غير محدود من النماذج للنص الواحد (فيبر ١٩٧٨ : ٢٩). ونموذج عالم النص ذو طابع احتمالي PROBABILISTIC شأنه شأن معظم صور الإدراك الإنساني، فمحتوياته المضبوطة ربما استعصت إلى حد ما على الحكم be partly UNDE-CIDABLE، وقد تكون علاقاتها بالنص السطحي غير واضحة الحدود not Fully DETERMINATE (كينتسن ١٩٧٤ : ١٥٣). ولكن الاتصال إنما يوصف بالكفاءة في العادة لأن أطرافه يستندون إلى الوقائع المحتملة، ويسيطرون على عدم التحديد non-determinacy بحسن التخطيط عند استعمال مختلف أنواع القرائن. أما كيفية معرفة الناس بما يجري في نص ما فهي حالة خاصة من حالات معرفة الناس بما يجرى في العالم بجملته. وإن البناء على الوعي الاستبطاني sensory apperception يسمح لنا بفهم العالم لأن لدينا على الأقل بعض المرتكزات strategies التي يستعان بها على التوقع، ونضع عناوين للدخل label input (انظر الفصل الرابع ـ ٢) بواسطة مقارنة الأنماط.

٦ ـ ١٤ ـ لقد عولجت هذه المسائل في الماضي من خلال تصور الاتصال الإنساني منطويا على «مرسل» يقوم «بترميز» رسالة يفك رموزها «المستقبل». وهذه المصطلحات المأخوذة من الهندسة (قارن: روزنشتاين وراثبون وسنيرر ١٩٦٤ : ٢١) هي إما مبتذلة لأن من الواضح أن الرسائل اللغوية لا تتطابق مع أشياء في عالم الحقائق، وإما أن تكون مضلِّلة دون مواربة، لأن الترميز يستدعى إلى الذهن استبدالا آليا للرموز بالأشياء. إن رموزمورس مثلا لا تتطلب شيئا أكثر من استبدال كل واحدة من الإشارات الكهربائية بواحد من الحروف الهجائية، ولكن إنتاج النصوص وفهمها يتوقفان على عمليات كبيرة من الحكم والانتقاء والتخطيط والتصميم وحل الإشكالات. وتتضح الفروق العظيمة بين هذه الأنشطة والتبادل الآلي للرموز عند النظر إلى الفشل الأسطوري للمحاولات الأولى للترجمة الآلية.

٦ ـ ١٥ ـ وربما استطعنا أن نفهم طبيعة الاتصال اللغوي كلها بصورة أفضل بواسطة الانتقال من الجملة إلى النص. فبالإضافة إلى كون نظم القواعد الآلية

ليست في ذاتها عملية ولا مفيدة نراها تفشل في تناول نواح كثيرة من المعرفة والتعبير الإنساني. فاللغة تتجلي من خلال أرتال من الرموز المتمايزة، ولكنها تصف وتراقب وتعبر عن عوالم مستمرة من المعرفة والتجربة (قارن : الفصل الأول ـ ٦ ـ ٤)[٢٢]. إن الرياضيات والمنطق الصورى أداتان مفيدتان عند تناول الأمثلة، ولكنهما لاينبغى أن يفرضا على هذه القضايا التى فى طوقنا أن نوجهها. والاتجاه إلى إبراز التماسك فى المنطق (الفصل الأول - ٦ - ٣) خطوة رئيسية فى الابقاء على التفضيلات الإنسانية التى تُطَّرح غالبا من أجل الشكلانية. وليس من الواضح حتى الآن كيف يمكن لهذه المقترحات أن تتناول عمليات المعرفة فى زمان حقيقى. فما لم تكن هناك مرتكزات Strategies ناجعة لتوقع ما ينبغى لهيئة العالم أن تكون عليه، وكيف يتبع بعضها بعضا، فإن تقسيم العوامل بطريقة كريسويل (الفصل الأول - ٦ - ٣) يمكن أن يتطلب كمية متفجرة من العمليات الحسابية (قارن: الفصل الثانى -١ - ٢ لمعرفة معنى التفجير). ولقد يكون لى أن أؤكد على أن فكرة عدم التحديد non - determinacy غير دقيقة ولا علمية، بل بالعكس، إن المهمة الأساسية للعلم أن يستكشف وينظم كل أنواع المجالات على أعلى مستوى من الدقة بالنسبة للموضوعات والصياغات ذات العلاقة.

(٢٢) ينظر أورتوني (C ١٩٧٨) إلى هذه المفارقة بوصفهاعاملا يجعل المجاز ضروريا للاتصال الإنساني.

٧- نظرة شاملة إلى الموضوع
OVERVIEW OF THE DISCUSSION

٧ - ١ لمتابعة المهمات المعرفية التى حاولت أن ألخصها فى هذا الفصل أرى أن الصورة التقليدية للمناقشات اللسانية قد تكون غير منتجة: أقصد النحو والدلالة والتداولية Pragmatics؛ أو الوحدات الصوتية والصرفية ثم الكلمات المقررة والجمل ثم النصوص، وهلم جرا. لقد كانت هذه الصورة مناسبة لمطالب مناقشات الأنظمة الافتراضية، على حين يتجه اهتمامى إلى التفعيل ac-tualization وسأناقش طائفة من القضايا التى تبدو ذات علاقة بعلم النصوص تبعا للمعايير التى وضعتها الآن.

٧ - ٢- يدور الفصل الثانى مع عمليات إيجاد الترابط الرصفى SEQUEN-TIAL CONNECTIVITY بواسطة بناء التكافلات النحوية. وأنا أقدم هنا تخطيطا شكلانيا Formalism يُسمى: «شبكة التحولات المتنامية» Augmested Transition Networt وهى تنمو بواسطة الانتقال من واقع نحوى إلى واقع آخر بواسطة التوقع والتأكد Confermation المنتمين إلى مسلك بينى Pathway in between. وأنا أزعم أن هذا التخطيط الشكلانى يمكن أن يحسن تناول القضايا الكبرى «للنحو الإجرائى للنص» بقدر ما يمكن ذلك للطرق الأخرى على الأقل.

٧ - ٣ - ثم نعرج فى الفصل الثالث على عمليات الحفاظ على الترابط CONCEPTUAL CONNECTIVITY بواسطة بناء نماذج عالم النص. وأنا أعرض هنا لبعض القضايا الكبرى من خلال مفهوم «الدلالة الإجرائية» Pro-cedural Semantics التى يرد المعنى بحسبها على صورة إجراء Pro cess. وأتصور المناسبة فى النصوص جزءا من تأملات أوسع فى كيفية اكتساب المعرفة واختزانها واستعمالها. ثم أوضح بعد ذلك كيفية بناء نموذج عالم النص من كتاب مدرسى للقراءة.

٧ - ٤- أما فى الفصل الرابع فسوف استكشف قضية الإعلامية IN-FORMATIVITY بوصفها الحد الذى يصل إليه احتمال الوقائع النصية،

من الإعلامية ثلاث درجات orders لأقول إن الاتصال يتحقق عادة على مسار الدرجة الوسطى. أما الإعلامية المنخفضة الدرجة أو العالية الدرجة إلى أقصى حد فإن تنظيمها يتم مع النظر إلى ذلك. وأقترح أن تبحث هذه القضية فى نطاق نظرية عامة لكيفية البناء على الوعى الاستبطانى الإنسانى human apperception والإجراءات الإعلامية (قارن: روميلهارت ١٩٧٧a). والنص النموذجى المستعمل هنا مقال صحفى.

٧ - ٥ - ويتناول الفصل الخامس أشهر منطقة من مناطق لسانيات النص، وهى وسائل الترابط التى تعمل خارج حدود الجملة، وأعتقد أن هذه الوسائل تعمل على المحافظة على استبقاء نقط المعرفة المنشطة فى حال الإضافة أو التعديل. إنها تسمح للصورة السطحية أن تتلخص وتترابط دون الحاجة إلى إعادة ذكر كل شىء. ويترتب على ذلك إمكان الإشارة إلى المعرفة دون الوقوع فى إعلامية من الدرجة الدنيا. وقد تدعو شدة التلخيص فى مواقف معينة إلى تدمير هذه المزايا على أى حال، لأن المجهود المدّخر سيضيع مرة أخرى فى محاولة الإبقاء على توفير الالتحام coherence لما بقى.

٧ - ٦ - ولقد خُصص الفصل السادس للكيانات الكبرى التى تعطى أنماطا شاملة GLOBAL PATTERNS لدعم عمليات الفهم وتكييفها وتوجيهها. وأنا أفرق بين المقصود بالأُطر FRAMES والمشروعات SCHEMES والخطط PLANS والمدونات SCRIPTS بوصف هذه المفاهيم تكوينات معرفية ذات منظورات متمايزة. ثم أبدى احتمال انطباقها على صياغة النماذج المتنوعة. وسأقدم الشواهد من تجارب تمت فى السنوات الماضية.

٧ - ٧ - ويستطلع الفصل السابع قضايا أخرى لإنتاج النص وصياغته. فأتقدم ببعض المقترحات فيما يتصل بكيفية احتمال التناول لصياغة نماذج أنواع من النصوص- سأنظر فى بعض قضايا إنتاج أنواع النصوص TEXT TYPES PRODUCTION التى يمكن أن تنطبق على القصص البسيطة للأطفال، وعلى غنائية شيكسبير فى الوقت نفسه. وسيجرى استكشاف بعض نواحى التناص INTERTEXTUALITY على أساس عمليات تذكُّر محتويات النص.

٧ - ٨ - وسأنظر فى الفصل الثامن فى مجالين حظيا بانتباه خاص فى دراسة صياغة الخطاب. فيجرى تحليل المحادثة CONVERSATION من ناحية مجرى الموضوعات، وكيفية حكم كل من الطرفين على استحقاق الطرف الآخر فى لحظة ما أن يتكلم. أما القصص NARRATION فسوف يناقش فى حدود مرتكزات strategies الإخبار بقصص مشوقة وفهمها، كما يتمثل ذلك فى القصص الشعبية الإنجليزية.

٧ - ٩ - ويَختتم الفصل التاسع هذا المجلد بنظرات فى تطبيقات APPLI-CATIONS لسانيات النص كما عرضت هنا. ولسوف أبحث فى طبيعة المشروع التربوى EDUCATIONAL ENTERPRISE، وأقترح الوضع المؤثر فى التدريب على القدرات النصية، وأعرض للاتجاهات الصاعدة فى مجال القراءة لاحتمال اشتمال نظم دراسات١٢٧ والكتابة. ثم أقدم بعض الدوافع المسببة الترجمة والدراسات الأدبية على لسانيات النص. وفى هذا الجو من التوقعات المستقبلية ينتهى الكتاب بعبارة متفائلة.

٧ - ١٠ - آمل أن أكون قد وضحت سبب إحساسى بأن اللسانيات ينبغى أن تهتم بالأنشطة الإنسانية. فمع أن هذه النظرة مهملة غالبا نجد لها جذوراً فى كتابات محترمة كما تشهد كلمات أوتويسبرسن منذ أكثر من نصف قرن مضى: «جوهر اللغة الإنسانية هو النشاط الإنسانى، نشاط الفرد ليكون مفهوما لدى الآخر، ونشاط الآخر ليفهم ما كان فى ذهن الأول. هذان الشخصان [...] وعلاقة كل منهما بالآخر لا ينبغى أن تنسى أبدا إذا أردنا أن نفهم طبيعة اللغة».